قصاصات عابرة

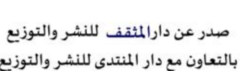
* الكتاب: قصاصات عابرة (مجموعة قصصية)
* إعداد. عزيز عثمان
* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى
* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى
* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى
* رقم الإيداع: 22587/ 2022
* الترقيم الدولي: 978-977-86362-5-3

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com 

واتس آب: +20 100 518 6476 

فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع 

















(مجموعة قصصية)

قصاصات عابرة

إعداد. عزيز عثمان



حكايات جدّتي

- حجّينا يا سِتّي.
- حجّاكم الله
- خير إن شاء الله

بتلك العبارات كانت جدتي تأخذنا لعالمها السحريّ، عالم الحكايات، كنت صغيراً لم أجاوز السابعة بعد، في قريةٍ صغيرةٍ من قرىٰ الصعيد البعيدة (الصعيد الجواني) كما يُطلق عليه أبناء الشمال.

- كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، ولا يحلا حديت أو كلام، إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام.

فنتسابق في إسماعها أصواتنا بالرد عليها:

- عليه الصلاة والسلام.
- كان في بِت اسمها «فاطنة» حلوة وشعرها كيف الليل اسود وناعم، وبت تانية اسمها «كشونة» شعرها كيف جريد النخل مِكرنِف ومنعكش، وكانت عِفشِه، و...

لم تكن تلك المرة الأولىٰ التي نسمع فيها جدتي تقص علينا تلك الحكاية، ولكن في كل مرة كنا نضحك من تِلك الفتاة ذات الشعر الجَعِد، كما نخاف عند ذِكر سيرة أُمها الشريرة، جدتي غير عادية حين تحكي، صوتها وملامحها



يمتزجان في الكلمات، يصبح صافٍ ومرح إذا جاءت سيرة «ست الحُسن» ويُثير الرعب حين تَذكُر «الغولة» لم تكن أبداً شخصيةً عادية، حتىٰ في حياتها بعيداً عن خيال الحكايات.

- وروح يا زمان وتعالىٰ يا زمان وفاطنة تكبر، و...

«شَحَّاتة» هو اسمها، بلغت من العمر سنوات لا أعلم عددها، بيضاء الوجه، مُخضَّبةُ الشعر بالحناء المغربية - لم نكن نرىٰ سوىٰ جزء قليل من شعرها قبيل كل صلاة - دائمـاً ترتدي الأسود، لم نرها تلبس الألوان إلا في كل ليلة جمعة، تبيت فيه ليلتها وتخلعه بعد الصلاة مباشرةً، دائمة التسبيح والذِكر بمسبحتها المَقدسِية، يحمل وجهها خطوط الأزمان التي عاشتها فزادتها مهابةً ووقار حتىٰ في قلوب البالغين، ويزين أسفل ذقنها وشم علىٰ هيئة ثلاث خطوط رأسية متوازية، ووشم آخر علىٰ رسغها الأيمن، كأنه حلقة تحيط بكامل الكف لحمايته، وثلاث نقراتٍ علىٰ إبهامها الأيسر، كانت وشومها طلاسم لا أدري ما معناها، ولم أجرؤ علىٰ سؤالها ولا أدري لذلك سبب!

سألتها ذات مساء، عن سبب إطلاقهم هذا الاسم عليها! فأجابت ضاحكةً:

- البت شحاتة والأُم «عالية»

أخبرتني أن أمها (عالية) كانت كلما حملت طفلاً مات جنينـاً أو بمجرد ميلاده، فأشار عليها بعض العجائز أن تُطلق اسمـاً قبيحـاً علىٰ مولودها المنتظر علَّه يحيا؛ وقد كان.



انتهت القصة سريعـًا والكهرباء بعد مقطوعةً عن عالمنا المرئيّ، طالبناها بحكاية أُخرىٰ تُضيء لنا بها ظُلمة خيالاتنا، فكانت حكاية «الغولة والسبع بنات» التصقت بها حين قالتها، ضحك جميع الحاضرين من أبناء وبنات عمومتي واصفين فعلتي بالجُبن، إلا هي... ضمتني إلىٰ صدرها وقالت مبتسمة لي:

- خليك چنبي يا وليدي، أنا كمان نخاف من الحِچّيوة ديْ.

ثم يبدأ السحر من جديد...

جدتي تعرف السباحة في النيل، تعجبتُ حين سمعت هذا من أمي، سألتها كيف لفتاةٍ من الصعيد أن تسبح في النيل! قالت أنه في زمانٍ قديم قبل مولدنا جميعـًا، كان بحر النيل يفيض بمياهٍ كثيرة، وكان الناس لا يستطيعون الخروج من بيوتهم لقضاء أي شيء إلا سباحةً، وحكت لي كيف كانت جدتي تخلع عباءتها هي وجدي رحمه الله، ويمسك كلاً منهما بثيابه في يدٍ واحدة يرفعها للأعلىٰ كي لا يصيبها الماء، ويسبحون بالأخرىٰ.

تسبح بيدٍ واحدة! يا لها من قوة، دائمـًا كنت أسأل نفسي عن مصدر قوتها رُغم الضعف البادي علىٰ جسدها الهزيل!

لم تكن جدتي بارعة في قصّ الحكايات وفقط، بل كانت حياتها مجموعة من حكايات مشوقة وغريبة لطفلٍ مثلي.

سألتها مرة كيف تزوَّجَتْ جدي وهل كانت تحبه؟! قالت:

- ياه يا وليدي، چوازي ده كان حِكّيوه حكتها البلد كلها.

قالتها وهي تضحك كأن أحدهم قد قص عليها طُرفة جديدة، كان أبوها قد زوجها وهي بعد ابنة أربعة عشر عامـًا، لم تكن تعلم مَن هو زوجها؟ أو لماذا يكون كذلك؟ كان عمره بضِعف عمرها، حين دخل عليها الغرفة ورأت وجهه في ضوء القنديل... صرخت، وفرت هاربة! جاء بها أبيها في الصباح التالي لبيت الزوج وأوصتها أمها به خيراً، وحين حل المساء ورأته ثانيةً في ضوء القمر صرخت، وفرت هاربة! وكررتها في اليوم الثالث، حينها قال أبوها للزوج أنها فرت منه ثلاث مرات ولن يعيدها إليه، وطلب منه أن يُطَلِّقها، وقد فعل الرجل بغير جِدالٍ أو مماطلة! بعدها طلبها جدي للزواج، فوافق أبوها، ولم تهرب هي.

أتذكر هذه القصة كثيراً وأتعجب، إذ كيف لفتاةٍ ريفية، وفي ذاك الزمان البعيد أن تهرب ليلة زفافها! بل وتكرر فعلتها غير عابئة بظنون الناس! ثم تُطلَب للزواج من رجلٍ آخر بدون تأخير أو شروط! كيف لم تخشَ من حديث الناس عنها! وكيف لأبيها ألّا يخشىٰ من حديثهم عنه وعنها! كيف لم يخشَ ألّا تجد ابنته من يقبلها زوجةً بعد ذلك! كثيراً ما أُعجَبت بشخصيتها وتعجبت من قوتها.

تَوقُف السيارة أعادني من ذكرياتي الجميلة، كنت قد غادرت القرية منذ زمن للدراسة ثم العمل ثم الاستقرار بمحافظة أخرىٰ، اعتدت زيارة جدتي من حينٍ لآخر، واليوم أنا آتٍ لرؤيتها، دخلت غرفتها، قد غيرت ردائها الأسود، اليوم ترتدي البياض كقلبها، قرأت الفاتحة، ثم قبلتها بين عينيها، ألقيت



بجسدي عند صدرها، لا لأسمع حكاياتها من جديد ولكن. لأشم رائحتها للمرة الأخيرة.

أحمد مصطفى

أحمد الحُمرين. مصر.





ونس

يجلس بشرفته العتيقة مرتديًا منامته الشتوية ذات الخطوط الطُولية وكأنها خطوط العُمر الفائت، يحميها برداءٍ آخر لا يمت لها بصِلة، كأنه يدفع عنها برودة العمر البائد ومحاولة الدهر أن يفنيها معه، وتجلس هي بجلبابها الشتوي الباهت كحوائط شرفتهما العتيقة، وربطة شعرِها الأبيض الذي يُتوِج سنوات عُمرٍ مَر بسلام، بينهما منضدة تحمل بضع أرغفة من الخُبز، القليل من الجُبن والعسل والكثير من البركة والودّ، يتناولان افطارهما بهدوءٍ تام، يتخلله بضع كُليمات وضحكات.

يُقَسِّم نظرهِ بين الشارع المزدحم وبين أطباق طعامه و بينها... رفيقة الدرب وونس ظُلمة نهاية العمر، ينتهيان من طعامهما، لتقوم هي منتصبة بانحناءة عُمرٍ مديد وتحتضن أطباقها الفارغة وتدخل لتجهيز كوبين من الشاي، تقتطف بضع وريقات «نبات النعناع» اليانعة التي تُزين شرفة مطبخها الصغير، لتخلطها بالشاي؛ فرفيق العمر يُفضله بنكهة النعناع.

بينما هي بالداخل... هو يلتقط بأنامله جريدة مطوية من أمامه ويتصفحها سريعًا، ينظر من شُرفة منزله لمحطة القطار الذي يطل عليها ذلك المنزل العتيق، فيجد أنثىٰ تجلس علىٰ استراحة رصيف المحطة وحيدة وشاردة، الغريب... أن تلك الأنثىٰ الثلاثينية الجميلة نظرت له! وكأن نظرته البعيدة



تلك اخترقتها، فنبهتها وأعادتها من شرودها؛ لتبادله نظرته، تأملتْ المنزل من الخارج وكيف مر عليه عهود متتالية وهو كالجبل الشامخ، لم تستطع السنوات ولا اهتزازات القطارات المتتالية عليه ليلاً ونهاراً النيل منه، المنزل من الطراز القديم ذو الأبواب الضخمة والنوافذ العالية المرتفعة بأخشابها المُزينة، حوائطه باهتة ولكنها جميلة ودافئة، تحمل شرفته بعض الزرع اليانع الذي يحاول أن يضفي القليل من الشباب علىٰ حياة العجوزان، وعلىٰ تشققات المنزل العتيق.

نظر للحسناء مطولاً

وكأنه يبتسم، وهي أيضًا نظرت له وبادلته الابتسامة الخيالية البعيدة وتحدثت لنفسها... «هل يسكن هذا العجوز وحيدًا هو وزوجته، فيقتل وحدته بالتلصُص علىٰ المارة وغزْل حكايات عنهم من نسج خياله وفقط؛ لقتل الوقت والفراغ والوحدة! تُرىٰ... ماذا ستكون حكايتي التي سيصنعها خياله! أكاد أجزم أنه سيقول عني... حسناء وحيدة تنتظر عاشق مجهول سيأتي لها بعد قليل؛ ليختطفا من العُمر سويعات سعادة، ثم سيتركها جريحة بعد مرور وقتٍ ليس بالطويل؛ فتعود حزينة شاردة تنتظر عاشقاً آخر!»

قطع حديث النفس الشرير خروجها حاملة كوبان من الشاي الساخن، فيلتفت لها سريعًا ويترك الجميلة غارقة في النظر لهما، تجلس هي أمامه ويتضاحكا وهما يحتسيان مشروبهما، تنظر لحركة يدها العشوائية وكأنها ترسم الكلمات التي تقولها؛ ليستطيع فهمها أو لتكمل بيديها معنىٰ حروفها المنطوقة أو... لأنه يعاني من ضعف السمع... لا تدري! ولكنها ظلتْ تتابع



حركة يدها الهائمة في الهواء وكأنها تقود بها «أوركسترا» تعزف له أجمل الألحان، ورأته يستمع لها بشغف وابتسامة وودّ، وهو يرتشف مشروبه الساخن وكأنهما يملكان العالم بأسره، حينها شعرتْ الحسناء المُهتمة بالبرودة تتخلل أوصاله، ولكنها ليست برودة طقسٍ، بل هي برودة وحدة وخوف.

نظر لها هذا العجوز عدة مرات وكأنه يقول لها «أنا أتابعك أيضًا أيتها الجميلة، سألازمك حتىٰ يأتي حبيبك، فلا تحزني ولا تشعري بأيةِ وحدة»

ابتسمتْ لتلك النظرات، وتحدثتْ نفسها لنفسها وتسألتْ...

«هل سأنعم بتلك الرِفقة يومًا ما، هل سأجد الونس والرفيق الذي سيقتسم معي وحدتي وخوفي وصمتي! تُرىٰ... من سيكون جواري في تلك السنوات العِجاف، من سيكمل معي مشوار حياتي الباردة؛ فيشعل بها بعضٍ من نار الود؟!» تساءلتْ وتساءلت ولم تجد أي إجابة! عادت بعينيّها لهما، كانا قد فرغا من مشروبهما الساخن؛ لتلتقط العجوز الحنونة منه كوبه الفارغ، فيحتضن كوبها وتختفي داخل المنزل، ويعود هو لحسنائه، ينظر مرة ويبتعد بنظرهِ مرة ويبتسم بينهما مرات.

فجأة... انتصبتْ من مكانها مُودعة إياه بعد أن حضر من تنتظره، لتبادله السلام والنظرةِ المُشتاقة، قبل رحيلها من علىٰ رصيف محطة القطار معه بعثتْ نظرة وداع للعجوز المُهتم، لتجده ينتصب هو الآخر ويشير لها بيده ملّوحًا وكأنه يودع مُحبٍ له سيبتعد راحلاً عنه، بدون وعي بادلتهُ الوداع ولوّحت له بيدها، وباليدِ الأخرىٰ تشبثت بذراع حبيبها الذي تعجب وفرِح



من تصرفها هذا؛ لأنه كان يعلم مدىٰ هروبها منه ومن طلبه المُكرر عليها بالارتباط به وتكملة حياتهما سويًا...

لتنقذه حبيبته من حيرته بقولها:

- أريد منك ألا ترحل بعد اليوم، أريدك بجواري حتىٰ الموت، أريد أن أُكمل حياتي معك، أريدك لي... ونس العمر.



❊ ❊ ❊



حَنينٌ

تجولتُ بالبيتِ القديم متأملاً أشياءً طالما أثارت انتباه أيِّ عابرٍ وسطَ هذهِ الحقبةِ الزمنيةِ، فألزمته الوقوف يسيراً، فهذه غرفة الجدِّ ويُوجَدُ بأحدِ أركانها المنضدةِ الخشبية المملوءة بالشقوقِ الغائرةِ والتي سُدَتْ ببقايا السمنِ راسمةً نقوشاً تشبه كثيراً طلاسم السحرةِ وملوك الجنِّ، في الجانب الآخرِ... أريكةٌ راسخةٌ تُستخدَمُ في النومِ وأوقاتاً كمنصةٍ لسردِ الحكاياتِ وقصص بطولة الفوارس والزناتي، ثمَّ تراءىٰ لي هذا «الدولاب» الضخم والمُستنِدَ علىٰ جدار سميكٍ، يعلوه قفلٌ قد تآكل بفعل صدأ الأزمانِ حتىٰ أذن بقربِ الفضِّ والبوح بأسراره!

اقتربت أكثر وأكثر والتصقت ببابهِ وَشَددتّه برفقٍ؛ فرأيتُ بإحدىٰ جنباته هذا المعْطَّفَ المعلق والذي يجمعُ بين لونين باهتين... أسود ورصاصيِّ، يتخللهما شعيراتٌ صوفيةٌ بيضاءٌ، يلبسه جدِّي في أوقاتِ الشتاءِ القارسِ بردهُ، سلَّمَهُ لي يوماً وصبيةَ أعمامي، ومنح كلَّ واحدٍ منَّا عصًا ذاتَ نُتُوءٍ ثمَّ بدورها انهالت عليه متسارعةً لتُخرجَ منه بعضُ الأغبرةِ، وأنَّ ما أثار دهشتي حقًا... أنَّهُ صاحبَ خروجِ الأتربةِ مجموعةٌ من الفئران الهاربةِ من هولِ العَجاجِ، الدرصِ، والأوسطِ والأمُ الثكْلىٰ التي أُصيبتْ بيمينِ أحدِ



الضـاربين بكـلِّ مِعْصَّـمِ، مودعـةً هـذا المعطـفَ والتـي ربَّمـا قـد وجـدتْ في شعيراتِهِ الصوفية ملاذاً آمناً يشبه فِراءِها الرمادي.

توالت الأسابيع ولحقتها شهورٌ فيها كَبُرَتْ خِرافُ الحديقةِ وحانَ وقتُ اِجْتزازِ صُّوفِها؛ وبحَوافِرُها تراجعتْ للوراء، وتناطحتْ ببأسٍ، لقد انتابني شيءٌ من خوفٍ يوماً ما؛ عندما رَمَقَني أحدُهم، وحدَّقَ فيَّ بعينيهِ البراقتين مُرسِلاً بشررِ التنافسِ والتكافح علىٰ حدود مملكته، وتراجعتُ علىٰ إثر نظرته للخلفِ متلمساً الفرارِ لكن سرعان ما تقدَّم الجدُّ وأمسكهُ من قرونهِ المُلْتويةِ وأخضَعَهُ أرضاً، وكبَّرَ، وأراقَ.

حينها كانت عيناي مثبتتان علىٰ هذا المعطفِ ذاتَ الشعائرِ والسننِ التراثية، دائماً يقتحمني سؤالاً:

- كيف لمعْطفٍ أنْ يقوم بكلِّ هذه المهامِ وحدَهُ! لقد أدَّىٰ دورَهُ ببراعةٍ، ثمَّ أُعيدَ إلىٰ خزانتهِ العتيقةِ حيثُ الغرفةِ وعبقِ الأَدْهُرِ.

«إنَّه يشبهني تماثلاً و بعضُ نفسي منه، بيدَ أنَّ غُرْفتي تتسعُ قليلاً وتخلو من شَجَرَةِ التَمرِ حنَّةِ، وأنَّ مِعْطفي أخفُّ بكثيرٍ من ذاكَ وما زالَ لديهِ لونٌ واحدٌ»



محمد خيرالله

مصر

❋ ❋ ❋





الكسكس بمرق الديك هو أفخم وألذ ما تطبخ أمي، عادة لا تضحي بديوكها إلا من أجل الضيوف أو المناسبات الدينية، هي تعتبر الأمر حدثاً إذن! لا بأس... إنها الليلة الأخيرة وعليّ مجاراتها.

تلألأ صحن الحِنّاء وسط شمعتين بالكاد ينتشر نورهما بأرجاء الغرفة، جثت أمي علىٰ ركبتيها أمام المائدة، شرعت بخلطها بأنامل مرتعشة، وشدت بمقاطع من أغانٍ لا زالت عالقة بذاكرتها من صفحات الطفولة، بدا صوتها بعيداً، مهزوزاً، هارباً من جُب الألم السحيق، كانت آخر مرة أسمع هذا الشجن بصوتها في ذلك اليوم الذي أسلم فيه أبي جسده للفراش ولم يعد قادراً علىٰ الحركة والكلام، بعد ذاك أصبح صوتها جهورياً، فيه من الجفاف والخشونة الرجولية الأثر الأكبر.

- هات كفك اليمنىٰ.

همست بحنو، بينما عيناها تجولان بغير هدىً! جثوت علىٰ الطرف الآخر فقابلني وجهها، وجدتني أغرق بلوحته؛ خطوط نحتها الزمن باحتراف، عينان غائرتان تلمعان بدموع سجينة، مع غرة إباء ترصع جبينها، مددت كفي في استسلام، وقفزت عيناي تطالعان تلك الابتسامة المُطفأة التي علت مُحيا أبي، غرقت بتفاصيل العجز المنحوتة عليه بيد شيطانية، رمش عدة مرات، فأجبته:



- اطمئن يا أبي... ابنك رجل من صلب رجل.

أحكمت أمي الشاش الأبيض علىٰ كفي متمتمه بعدة دعوات وابتهالات، قبلت يديها فسحبتهما علىٰ عجل، قامت مسرعة إلىٰ الغرفة الأخرىٰ، فجاورت أبي علىٰ كنبته، لثمت جبينه ويديه ثم احتضنته طويلاً، رن بأذني ذلك الصوت الغليظ الذي هز جنبات المكتب وصاحبه يعيد إلي تلك الأوراق:

- أنت صاحب شهادة جامعية... لا يمكنك الحصول علىٰ عفو، إن تأخرت عن موعدك في الغد ستعتبر عاصيًا، هذه فرصة أمنحها لك تفضلاً فكن رجلاً.
- انهض... أنت رجل.

نظرت إليها مستغلاً الظلام المحيط لأخفي دمعة غادرة، عانقتها ثم أخذت عنها حقيبتي ورزمة نقود دستها بجيبي، تبعتني إلىٰ ساحة البيت متمسكة بذارعي وحين أفلتها انتفضت متسائلة:

- سترافق ابن سي العربي كما أخبرت؟

أومأت موافقًا بحركة لست متأكداً أنها تبينتها! مضيتُ وأنا أتذكر حديثه عن سفره لإكمال الدراسة بالخارج.

فضيلة نويقس

الجزائر





في انتظار الأمير

آثار السكر تظهر جلية علىٰ وجهه، هذا دأبه دائمًا بعدما ينتهي من تنفيذ الأوامر بشنق المتمردين، وقطاع الطرق، يغرق في أنهار من الخمر؛ ليسكن شيئًا ما بداخله.

عشرون نفسًا أُزهقت الليلة بيديه، يمعن النظر في يديه، يصاب بالذعر عندما يجد الدماء تسيل منهما، يقف مسرعًا، يحاول غسلهما بالماء، لكنه يتوقف عندما يعود كل شيء لحاله، يمسح يديه في ردائه، وينظر لهما مرة أخرىٰ!

يأتي إليه صوت سرحان زميله صاحب البسمة النسوية، والوجه المكتنز، والجسد الممتلئ بالشحم واللحم، دائمًا ما كان يسخر منه وهو يشير إلىٰ جسده قائلاً:

- إن الأمير لو رأىٰ هذا الجسد لضمه إلىٰ جواريه، فاحذر أن تقع عيناه عليك.

وينفجر ضاحكًا، يعيده صوت سرحان وكأنه من داخل جُب عميق:

- مصيبة ... مصيبة ستقع فوق رؤوسنا!

يتلفت إليه... كلماته متعثرة ثملة:

- ماذا... وراءك... يا... وجه الشؤم؟



- تسعة عشر!

يتردد صوت شيخه في خلايا ذاكرته وهو يردد وراءه مع أطفال الحي «عليها تسعة عشر» يعود من إبحاره في الذاكرة

- تسعة عشر ماذا؟
- هناك جثة مفقودة!
- مستحيل لابد أنك أخطأت العد!

يذهب معه مسرعًا، يقف أمام أعواد المشانق ويبدأ بالعد فيصاب بالذعر عندما يجد كلام سرحان صحيحًا:

- كيف حدث هذا؟! سنعذب عذابًا لم يسبق لأحد أن سمع عنه، أنت تعرف جبروت الأمير.
- أعلم أنه لن يصدق أننا لا نعرف شيئًا عن الجثة المفقودة، سيتهمنا بتزييف موتها! إننا في عداد الأموات.

يلطم سرحان خديه ويسقط علىٰ الأرض ويضع التراب علىٰ رأسه ويقول:

- سيمزقنا شر ممزق ويحرقنا وقد يذيب أجسادنا في الأحماض! لابد أن نجد حلاً قبل أن يولد ضوء الشمس؛ فمع ولادته ستخرج أرواحنا.

الأفكار تتخبط... ماذا يفعل! حياته علىٰ المحك، يردد بلا وعي:

- لابد أن تكون الجثث عشرين بالتمام والكمال!

ينظر له سرحان ببلاهة:

- كيف ذلك؟



- نأتي بأي شخص ونتم به العدد.
- نأخذه بلا ذنب!

يقول ساخراً:

- وهل هؤلاء المعلقين على المشانق اقترفوا ذنباً؟!
- ولكن...
- ليس هناك لكن، أرواحنا معلقة بهذا المختار، أما هو أو نحن!

سرحان بتردد:

- أليس هناك حلاً آخر؟!
- لا ليس لدي الآن حلاً آخر، والوقت يمر والموت يقترب منا، يا أخي اعتبرنا قدرا هذا الشخص المختار، أليس من الممكن وهو يسير غافلاً يسقط ميتاً بلا سبب... سنكون نحن السبب هذه المرة، هناك أموراً تحدث لأنها قدر فهل نغير الأقدار؟!

يقتنع سرحان ويذهبا إلى طريق قريب من سور القلعة، ضوء الشمس يغمر المكان وهما يقفان متأملين الجثث العشرون وهي معلقة فخورين بعملهم انتظرا الأمير ...

انتظروه طويلاً ... طويلاً، لكنه لم يأتِ على غير عادته!

محمود بكر

مصر







استفاق ذاك الصباح، في غرفته المتواضعة بأحد أرياف العاصمة، فتح عينيه بصعوبة، تحسّس موضع نظّارته بجانب سريره، ارتداها فقابلته أكوام الكتب العلمية التي اجترّها طيلة حياته الدّراسية بحب وشغف كبيرين، لمح عكّازه الذي يعاند به اعوجاج قدمه اليمنىٰ متّكئً علىٰ قائمة طويلة من الكتب والدراسات المرصّفة فوق بعضها البعض كعمود طويل علىٰ بلاط الغرفة العاري، فغالبته ابتسامة مرّة وهازئة...

ظنّ أنّه يعاند إعاقته طيلة حياته بتفوّقه في دراسته، لكنّه أدرك أنّ عدوّه الحقيقي ليس بداخله، بل هو مبثوث من حوله، حاضر في كلّ مكان يطأه، عدوّ بشع، مستفزّ، يفتقر لكل معاني الإنسانيّة والرّحمة...

«ليس لديك كاريزما»

هذه الكلمة اللعينة التي سمعها كثيرا كلما قدّم لوظيفة ما، كلمة لا زالت تتسلّق رأسه كأغصان لولبيّة مدبّبة وأخذت تنمو داخل جلده ووجدانه كنبتِ الشياطين، حادّة ومخيفة حتّىٰ ما عاد يرغب في رؤية شكله في المرآة! راح يحدّث نفسه ويجلدها...

«عجز وفقر وقلة حيلة وظلم من النّاس، فأيّ حياة أستزيدها لنفسي والغير ينعم بسلامة البدن وطيب الحياة ورغدها؟!»

مرّت الأيّام ثقيلة، اجتاحته علىٰ إثرها شهوة الموت، وبدت الرغبة جامحة ومتدفقة، وانصاع إليها راضياً، جرّب أن يموت، جرّب أن ينقذ حياته بالموت، لكنّه ما مات كما أراد، لمّا استفاق من غيبوبته إثر جرعة من سمّ الفئران - أودعها أمعاءه كتأشيرة اختارها للعالم الآخر- عاتب حاله، وبدا لنفسه حقيراً لا يملك جسارة من جرّبوا قبله شرف الانتحار، وأنّه كان من الأجدر به أن يأخذ جرعة إضافيّة علىٰ التي أخذها ...

توفّي جدّه الذي يربّيه بعد فترة وجيزة، وبقي وحيداً لا يملك من إرث أجداده جميعًا غير «جَمل و بقرتين» ضحك في سرّه، فإن كان بالكاد يقوىٰ علىٰ خدمة نفسه، هل يستطيع الاعتناء بجمل وبقرتين؟! قرّر بيعهم والانتفاع بأموالهم دون محاولة متواضعة منه للاهتمام بهم، ولكن ما إن حضر الشاري ليأخذ غنيمته، حتّىٰ عدل عن شراء الجمل، فتسلّم بقرتيه وترك الجمل لصاحبه.

كان الحال أواخر الربيع، والصّيف علىٰ الأبواب، احتار ... ما يفعله بجملٍ عريض طويل؟! أيّام توالت، عاود البحث فيها عن وظيفة، فكان الرفض حليفة أينما ولّىٰ وجهه، مرارة حامضة علقت بالقلب والحلق وأحسّ وكأنّ الأرض ترفع أكتافها إليه استنكافًا، اختنق من وحدته، فعرج إلىٰ البحر القريب حزينًا، ينازل رطوبة الرمل التي استقوت علىٰ عجز قدميه ولم يصل إلىٰ الشاطئ إلا بشقّ الأنفس، أفضىٰ إليه بهمّه وغمّه، وبكىٰ؛ بكىٰ كثيراً حتىٰ غسل فؤاده وهدأت سريرته.

ألقىٰ نظرة من حوله، فلمح أفواج السّياح تملأ الشاطئ، دون تفكير مسبق، نطّ في ذهنه جَملِه، فلم لا يستغلّه في العمل السّياحي فيدرّ عليه بالخير الكثير؟ دبّت الفكرة في رأسه كدبيب النمل، واجتاحه حماس قويّ... ومن غده نفّذ الفكرة، اصطحب جمله إلىٰ الشاطئ بعد أن علّق علىٰ رقبته أجراساً رنّانة وبعض الزينة... وكأنما أبواب الحياة انشقّت أمامه علىٰ مصرعيها، راح صاحبنا يكنز جيوبه من خيرات الجمل؛ هذا يريد صورة معه، وهذا يريد أن يركبه ويلفّ به قليلاً...

فرحته ما عاد يسعها أرض ولا سماء، حتىٰ حسب أنه امتلك الأرض وما فيها... ما كان يدري أن عيوناً نهمة، عيوناً كعين الغراب تحسده في لقمته، كانت تترصّده بطمع لا متناهي حتّىٰ وقفت أمامه تطلب منه نصيباً من الرّبح بدعوىٰ أنها من مسؤولي بلديّة المنطقة والأمر قانون يلزم الجميع من أمثاله، احتجّ، ثار، هاج وماج لكنّه رضخ حينما هدده الرجل بافتكاك جمله، صار يقتسم معه كل يوم تعبه، جهده، حلمه، أمله وكلّ ربحه...

الرجل صار رجلين، وصارا لا يفوّتان يوماً وإلا اعترضاه وقاسماه مدخوله! استنفر من هذه العصابة التي لا تشبع، كلّ وملّ فلم يجد حلاً غير تغيير مكانه؛ المسافة صارت أبعد وأشقّ، فأتعبت ساقه كثيراً لذلك عاد حيث مكانه الأوّل، حاملاً همّ الرجلين علىٰ كتفيه!

واصل الأخيران ابتزازه، الفرحة التي تملكته بادئ الأمر صارت شعوراً بالإهانة والخنوع، اليأس عاد ليعصف بأعصابه مرة أخرىٰ، والمرارة صارت قهراً أشدّ.



مسؤولان بلسانين ذي شعبتين نثرا سمّاً بطعمهما على حلمه فـ وأداه...

اعترضاه كعادتهما ذاك اليوم، حينما رآهما، سار ناحيتهما بعينين اجتاحتهما سورة الحنق والغضب، قبل أن ينطقا بحرفٍ واحد، فجّر في وجهيهما أنابيب السّخط الملتهبة داخله، كان يرتجف وعكازه بيده اليمنى يهتزّ يمنة ويسرة...

صاح وهو ينثر رذاذاً حارقا من فمه:

- لا تسألاني شيئاً! خذا كلّ ما أملك، أنتما أحق به، أنتما من تعبتما، أنتما من تحملتما سموم الشمس وحرّها، أنتما من رفضتكما دولتكما لأنّكما من ذوي الإعاقة، ملقية كل شهاداتكما العلمية عرض الحائط، أنتما من حاولتما الانتحار فلم تنجحا، أنتما اليتيمان، المتعبان، الوحيدان، خذا هذا كلّه هنيئاً لكما به!

رمقهما بعد ذلك باستكراه، وانصرف عنهما باكياً، لاهثاً، مودع القلب والروح...

وصل البيت وجملِه وراءه يتبعه، رمى عكازه وأناخ الجمل ثم حضن عنقه في لطف وحنان وكأنّه يحضن الصّدر الحنون الذي يرتجيه منذ صغره، ابتعد عنه بعد ذلك وهو يرمقه بنظرات بائسة حنونة آسفة، مُطفأة، مرهقة وثقيلة...



ظلّ علىٰ تلك الحالة كثيراً ثم سحب من جيبه هاتفه وقد امتلأت عيناه دمعـًا بينما صورة المسؤولين لا تزال تتماوج أمامه وتخرج إليه لسانها،

اتصلّ بجزّار المنطقة وقال بصوت متهدّج كسير:

- أريد أن أذبح جملي، إنّي أنتظرك!

ذكرى الكشباطي

❋ ❋ ❋



فراق

اقترب يهمس بجانب أذنها:

- صباح الخير أيتها الكسولة، هيا استيقظي لقد اشتقت إلىٰ شمس نهاري، افتحي عينيك البندقية ليعم الخير و يملأ يومي.

طبع علىٰ جبينها قبلة حانية مغادرًا المنزل علىٰ وعد بالحضور مساءًا بعد إنهاء عمله؛ ليصطحب إياها في رحلة يجددا فيها حبهما؛ فاليوم ذكرىٰ زواجهما، تثاءبت وهي تزيح الكسل عن جسدها، عطره يعبق المكان، ملأت به رئتيها وهي تبتسم بغنج متذكرة صوته الدافئ، نظراته التي يملأها الشوق، أحضانه التي تنعم بالراحة وهي تسكن بينهما، نظرت إلىٰ المرآة تتطلع تلك الشعرات الفضية التي خالطت ليل رأسها وكم هو يعشقه.

أدارت الراديو كعادتها كل صباح لتستمع إلىٰ فقرة مذيعتها المفضلة (إيناس جوهر) وهي تلقي رباعية صلاح جاهين المعروفة...

تضحك حينما تتذكر أول لقاء جمعها بحبيبه، حيث كانت تتنظر الحافلة المتجهة نحو كلية الفنون الجميلة علىٰ الكورنيش، رائحة اليود تعبق الهواء مختلطة برائحة القهوة الذكية، ضحكات الأطفال وهم يتجهون نحو مدارسهم، أصوات بعض الباعة المتجولون، أشعة الشمس التي تبث الدفء إلىٰ الأجساد، ما أن وصلت الحافلة حتىٰ هرولت نحوها مسرعة؛

لتقتنص فرصة الجلوس علىٰ مقعدها المحبب بجوار النافذة قبل أن يسبقها إليه أي شخص آخر، من الجهة المقابلة كان يوجد شاب يحاول أن يصل لنفس المقعد إلا أنه اصطدم بأحد الركاب مما عرقل وصوله لتصل هي قبله، تجلس مصفقةً وعلىٰ وجهها ابتسامة طفولية رائعة أنها حصلت علىٰ هذا المقعد، جلس بجوارها ذلك الشاب وملامحه يسكنها الغضب إلا أن قسماته لانت عندما رأىٰ ضحكتها، وقع في حبها منذ اللحظة الأولىٰ، أخرجت ورقة من حقيبتها وشرعت في رسم تلك الأمواج المتراقصة، قرص الشمس يرسل أشعته الذهبية فوقها، انهت رسمتها مذيلة نهايتها بكلمة...

«احتفظ بها لتجد دائمًا البحر إلىٰ جوارك حتىٰ لو لم تجلس بجوار النافذة»

ثم رسمت وجه ضاحك، منحته إياها قبل أن تغادر الحافلة وهي تدندن أحدىٰ أغنيات فيروز، علا صوت المذياع بتلك الأغنية ليعيدها من تلك الذكرىٰ لتردد معها...

«أنا لحبيبي وحبيبي إلي... يا عصفورة بيضا لا بقىٰ تسألي»

صنعت فنجان القهوة الخاص بها لتتلذذ بمذاقها وهي تجلس علىٰ أرجوحتها المفضلة بالقرب من النافذة، التي أهداها لها زوجها بذكرىٰ زواجهما الخامس.

تمعنت بتلك الإطارات الخشبية (البراويز) التي تزين الطاولة المجاورة لها، حيث توجد بها عدة صور تجمعها مع زوجها، أخرىٰ تجمعها مع شاب يحمل ملامح أبيه الواقف إلىٰ جواره، صورة أخرىٰ تجمعها مع فتاة تحمل نفس ملامحها، صورة جماعية لها مع ابنها وزوجته وطفل وطفلة يحملان نفس الملامح، قبّلت تلك الصورة ثم دلفت إلىٰ المطبخ؛ لتعد وجبة الغداء



قبل أن يحضر زوجها، صنعت كعكة من البرتقال ذات الرائحة الشهية، شرائح اللحم المنغمسة في صوص البصل، المعكرونة، الأرز، بعض شرائح الخضار الطازجة و شوربة لسان العصفور.

أرسلت إلىٰ ابنتها، ابنها رسالة يحضرا اليوم للاحتفال بعيد زواجها من والدهما ثم أغلقت الهاتف؛ لتزين الطاولة بالزهور الحمراء التي تملأ شرفتها، بعض الشموع ذات الرائحة الفواحة؛ دقت الساعة الثالثة بعد الظهر نظرت نحو الطاولة نظرة فخر، إعجاب بما صنعت؛ فالطاولة تشبه إحدىٰ لوحات بيكاسو، دلفت إلىٰ غرفتها لتبدل تلك الملابس التي ترتديها بملابس أخرىٰ، اختارت فستان من اللون الأسود ذراعاه من التل مُطعم ببعض الزهور الحمراء، تعطرت من إحدىٰ الزجاجات التي تسكن أمام مرآتها، رسمت عينيها بأحد أقلام الكحل لتزيد من جمالها وبريقها، همست لنفسها:

- مؤكد سوف تروق له طلتي، فهو يعشق هذا اللون، ذلك العطر.

جلست بالقرب من الشرفة، اتصلت بأحد المحال تطلب هدية لزوجها، أنهت المكالمة بعدها طالعت ألبوم الصور الذي يجمع كافة صورها مع زوجها، أبناءه، أحفادها وبعض الأصدقاء والأقارب وهي تقرأ ما سجلته خلف كل صورة كما اعتادت، حملت إحدىٰ أوراقها وبدأت في رسم لوحة لتهدي زوجها إياها، أنهت لوحتها بعد ساعتين من التركيز، رن جرس المنزل ليخرجها من تمعن ملامح زوجها التي تسكن الأوراق، فتحت الباب وعلىٰ وجهها بسمة عذبة، شكرت المندوب علىٰ إحضار هديتها، منحته بعض الأموال زيادة علىٰ ثمنها، أغلقت الباب وهي تنظر بسعادة إلىٰ

تلك العلبة المخملية التي تسكن بين راحة يدها؛ فهي تحوي ساعة ذهبية من الماركة المفضلة لدىٰ زوجها، وضعتها بجوار اللوحة وجلست تنتظر حضوره وحضور أبنائها.

بدأت الشمس في مغادرة صفحة السماء، صوت المفتاح وهو يدور بالباب جعل قلبها يقفز فرحًا، هرولت لتستقبل معشوقها وتنعم بأحضانه لكنها لم تجده بل كانت ابنتها... قبلتها وهي تداعب حفيدتها التي تحملها:

- والدك في الطريق ما أن يحضر سوف نحتفل، شقيقك أيضًا علىٰ وشك الوصول.

سقطت دمعة من عينها حينما ذكرت اسم والدها، شقيقها، اقتربت تزيح تلك الدمعة الغادرة عن وجنتها لتسألها:

- ماذا حدث... لمَ تلك الدموع؟!

أجابتها بصوت مرتعش يكسوه الحزن والدموع:

- متىٰ سوف تقتنعين أن أبي فارقنا، لقد توفي منذ ثلاثة أشهر، أخي سافر وأهملنا ارحمي قلبك يا أمي لم يعدا معنا.

صفعتها بقوة:

- كاذبة، لقد وعدني ألا يتركني!

ثم سقطت لتتركها وعلىٰ وجنتها دمعة فراق.

سمر سعيد

مصر







ما أجمل هذا اليوم! أخيراً سيتحقق الحلم، لا أستطيع الانتظار...

وقفت أمام المرآة أتخيل المشهد القادم بلهفة وفرح، قطع أفكاري عندما رأيته يغادر فراشه قائلاً بصوته الطفولي:

- إنني سعيد جداً، بل أكاد أن أطير من السعادة.

صمت بُرهة قبل أن يبادرني قائلاً:

- هل تعتقد أن أبي سيشتري لي واحداً مثلكم؟

ابتسمت لبراءته وأنا أتلقفه بين يدي محتضناً إياه.

علىٰ رصيف المحطة وقف ثلاثتنا متلهفين في انتظار الحافلة التي تقل أبي ومعه كنزنا المنتظر، مرت الدقائق كأنها سنوات قبل أن نلمحها قادمة ببطء، يسبقها غبارها الكثيف وهي تكركر كقِط اختنق جوعاً، جرينا إلىٰ بابها المتهاوي كراكبيها ونحن ننظر بترقب لكل الركاب المترجلين منها، لم تمر دقائق قبل أن نراه يغادرها حاملاً كنزنا الصغير، تعلقنا به وضحكاتنا تكاد أن تجاوز عنان السماء، احتضننا بحنان وغادرنا جميعنا إلىٰ المنزل.

في المساء كان أخي الصغير عابساً، اقتربت منه محاولاً إضحاكه، نظر لي باكياً، سألته:



- ما الذي يبكيك؟

تردد قليلاً قبل أن يجيبني هامسًا:

- لم يشتر لي أبي واحداً مثلكم! ووعدني أن يشتري لي واحداً المرة القادمة.

لم أجد جوابًا، نظر لي، تلعثم قليلاً قبل أن يقول راجيًا:

- أريد أن أرتدي خاصتك ولو لمرة واحدة.
- لكنه أكبر من جسدك النحيل هذا!

قلتها بحسم، تساقطت دموعه علىٰ وجنتيه وهو يقول بلهفة:

- لن أخرج به من باب البيت، فقط سأرتديه داخل البيت، أنت تدري أنني لم ألبس واحداً مثله من قبل، ولقد مللت من ارتداء تلك السراويل المضحكة.

اقتربت منه، أجلسته بجانبي قائلاً:

- تعلم أن ليس لدي غيره، هي مرة واحدة ولن تكررها.

صرخ بفرح:

- أقسم لك ستكون الأولىٰ والأخيرة يا أخي.

استيقظت مع الساعات الأولىٰ لبزوغ الشمس، احتضنت كنزي الثمين الذي كنت أخبئه تحت فراشي حتىٰ أحافظ عليه، لبسته ونظرت لنفسي في المرآة بفخر، وجدته يقف أمامي مبتسمًا، سألته مستغربًا:



- ما الذي أيقظك مبكراً وأنت ليس لديك مدرسة مثلنا؟

ابتسم بخجل قائلاً:

- هل نسيت وعدك لي؟ سأنتظر عودتك على أحر من الجمر، لا تتأخر عليّ، لن أستطيع الانتظار طويلاً.

ودعته وذهبت إلى مدرستي وكل تفكيري في كنزي العزيز... هل أأمن عليه مع أخي الصغير؟ ماذا لو جلس على مسمار وقطعه، ماذا لو مرت عربة من تلك العربات التي تحمل روث الحيوانات في القرية فلوثته!

تدفقت دماء الخوف إلى عقلي، لكنني طردت تلك الفكرة بسرعة، دخلت إلى فصلي، نظرت إلى المقعد جيداً قبل أن أجلس عليه، بعد أن اطمأننت لخلوه من المسامير جلست، قبل انتهاء اليوم الدراسي، فوجئت بناظر المدرسة يستدعيني إلى مكتبه! ذهبت إليه وقدميّ ترتجفان محاولاً استرجاع أي خطأ ربما قمت به دون أن أدري، قاطعني صوته الهادئ وهو يقول:

- تقدم يا فتى!

تقدمت إليه متردداً خافضاً رأسي إلى الأسفل مثل لص ضبطوه متلبساً بجريمته، ربت الرجل الصارم على كتفي قائلاً بحنان:

- أسرع إلى بيتك؛ فأهلك ينتظرونك.

لم أفهم ما الأمر، ولم تواتني الشجاعة كي أسأله! جريت إلى بيتنا طائراً على أجنحة الخوف والقلق، وصلت إلى شارعنا، كان العشرات موجودين



بالقرب من منزلنا، هناك نواح وعويل، جريت إلىٰ البيت، قلبي يكاد يقفز من بين أضلعي!

في بهو بيتنا الصغير رأيت أبي جالس يبكي وحوله أعمامي وأخوالي، في داخل البيت جلس اخوتي الصغار بجوار أمي ينحبون! أما أمي فكانت ذاهلة النظرات، يكاد وجهها أن يحاكي وجوه الموتىٰ، اقتربت منها، كان هناك جسداً ضئيلاً مسجىٰ علىٰ سجادة مهترئة كأيامنا، مددت يداً مرتعشة تزيح الغطاء عن الجسد المسجىٰ، صرخت بكل ما أوتيت من قوة:

- أخي!

كان مغمض العينين، علىٰ شفتيه النحيلتين ترتسم ابتسامته الملائكية البريئة، نظرت إلىٰ قدميه، لم أجدهما، صرخت:

- ماذا حدث لأخي؟!

انفجر الجميع باكين، ذهب الرجال ومعهم أخي الصغير ليواروه الثرىٰ بعد أن صدمته حافلة قتلته بعد أن قطعت أوصاله، جريت إلىٰ أبي حاملاً كنزي الصغير، لا أدري كيف خرجت كلماتي المبعثرة:

- أرجوك يا أبي... دعه يأخذه معه، فقد وعدته ولن أخلف وعدي معه قط.

نظر لي أبي دامعًا وكأن عينيه تسألاني:

- هل تتخلىٰ عن كنزك؟!



- لا يا أبي، كنزي هو ذاك الذي تحمله بين يديك.

صرخت بكل ما في

أخي...



❊ ❊ ❊



ذاكرة عكسية

حدَّق بي بنظرة غريبة فارغة، ثم ألقىٰ بالسؤال الوحيد الذي اقتلع قلبي من جذوره، وسألني: من أنتِ؟

لم أشعر حينها بشلال الدموع الذي بلل وجنتيّ، القبضة التي اعتصرت قلبي إثر سؤاله، أفقدتني الشعور بالمكان والزمان، هرولت هاربةً من نظراته الغريبة نحوي وقلبي يناجيه بألّا تفعلها ثانيةً يا «أحمد»، لا تبعدني عنك، لا تنبذني كما سبق وفعلتها، لا تقتلعني من أرضي.

خرجت من المستشفىٰ ألهث من فرط الألم، ألم يعتصر قلبي ، يكبل روحي، وكل خلية من جسدي تصرخ بجنون أن يا غبية كيف سمحتِ له بأن يتملك قلبك من جديد، أين عهودكِ بالانتقام منه، أين ثأركِ الذي أقسمتِ علىٰ نيله منه بالقوة، أين حُلمكِ برؤيته ذليلاً يتضرع طلباً لعفوكِ، والجواب الوحيد الذي يُخرس ذلك الصراع أنني وقعت بحبه من جديد.

قضيت ليلتي باكيةً بأحضان «لبنىٰ»، فهي الوحيدة التي تعلم نواياي للانتقام منه، إيهامه بفقداني للذاكرة لم يكن سوىٰ فخ نصبته له، فهجره لي بدون أسباب ترك ندبة عميقة الأثر في قلبي، لم ولن أقوَ علىٰ نسيانها يوماً.

في ذلك اليوم الذي أبلغني فيه بمنتهىٰ البرود أن علاقتنا قد انتهت، تمنيت لو أنه أمسك سكيناً وغرزه في قلبي ليحرر روحي من عشقه، إلا أنه بكل بساطة رحل، رحل وكأن وجودي كان مجرد غيمة عابرة في ربيع حياته، حينها قررت الانتقام، وأقسمت بأنه سيأتي راكعاً أمامي متسولاً حبي، وحينها سأتلذذ بنبذه كما نبذني، وحين علمت بمرضه من لبنىٰ، أدركت كم كانت علاقتنا هشة لتذروها الرياح قبل أن تبدأ.

أيقنت أن علاقة كهذه، لا بد أن تمر عليها النوائب لتثبت كم هي عميقة جذورها في قلبَينا، بيدَ أنه كان جباناً بما يكفي لينسحب دون أن يعطي لعلاقتنا حق الدفاع عن نفسها، كان أنانياً فضّل الهروب علىٰ أن يواجهني ويطلب مني أن أمسك بيده لنتخطىٰ مرضه معاً، أجل، فأنا لم أكن لأترك يده في وسط المعركة.

أشرقت شمس اليوم التالي، وبين عقلي وقلبي تدور أعتىٰ المعارك، إلا أن الغلبة كانت لقلبي، فقد عزمت علىٰ أن أستعيد حبه رغماً عنه، فما أُخذَ مني بالقوة لن أسترده إلا بالقوة، فقررت العودة إلىٰ تلك المستشفىٰ، والبقاء بجانبه حتىٰ يستعيد ذكرياته كاملة، فلن أقبل بأقل من قلبه كاملاً دون نقصان.

- نور! ألم تملّي من إعادة تلك القصة مراراً علىٰ مسامع ابنتنا؟

نظرت «نور» نحوه بحب، وأجابت بابتسامة عريضة ملأت روحها:

- لا، لن أملّ من تكرارها ما حييّت.



احتضنهما أحمد بحب قائلاً :

- جاء دوري لأكمل القصة، وأخبر ابنتنا عن شجاعة والدتها في استعادة حبها، فلولا إصرارها لما كنت وقعت بحبها من جديد.

تمت.







أصعب قرار

ماذا لو توقف الزمن عند تلك اللحظة التي كنا بها سعداء؟! أربعتنا في طريقنا للعشاء نردد الأغاني وتصدح ضحكاتنا وتصل للسماء.

ليت أن هذه الأصوات اللعينة تختفي وتخرج من أذني، حادثة، فرامل، صراخ وإسعاف! كيف أظلم العالم من حولي وسقطت في هذه الهوة السحيق، ووقفت علىٰ الحد الفاصل بين الموت والحياة!

رباه... ما هذا الاختبار القاسي؟!

كم هو سعيد الحظ زوجي الذي رحل دون معاناة ليتركني أواجه القرار وحدي! كلمات غريبة لا أستطيع استيعابها! توقفت دماغ الولد عن العمل ويلزم نقل قلبه إلىٰ أخته ما هذا الهراء!

ولِمَ لا يتم إنقاذ الاثنان؟

كيف أقرر أن يحيا أحد أبنائي وأسلب الآخر الحياة!

وهل يترك ولدي أخته وحدها في هذه الحياة؟

تُراني أسمح بإنقاذ أحدهما وأفقد الآخر! أم أخسرهما معًا وأسعىٰ للانتحار!

كيف أهرب من هذا العذاب؟



أأضع ولدي تحت التراب وتحق لي الحياة؟ أي أم تستطيع إنهاء هذه المأساة! كيف أوافق علىٰ انتزاع قلب ابني لأُعطي ابنتي الحياة؟!

إلهي أرشدني أين النجاة... ربي أن كان حكمك بفقدان الولد مُحقق، فليهب اخته الحياة وعزائي الوحيد أنني كلما نظرت لعينيها... أراه.

رضا حنفي محمود

مصر





دائما تأتي متأخرا

_اغلقي الموتور!

عبارة قالها ابنها وهو يعبر أمام المطبخ وهي تجلي الأطباق وتعد الطعام، وصنبور المياه يتدفق الماء منه كالشلال.

يسكنون في طابق علوي؛ فلا تصعد المياه إليه إلا باستخدام موتور لضخ المياه من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ. لا يكف ابنها عن ترديد هذه العبارة كلما رأىٰ ذلك المصباح الصغير المتصل بمفتاح تشغيله مضاءً؛ خاصة بعدما زادت فاتورة الكهرباء وارتفعت ذلك الارتفاع المخيف في الآونة الأخيرة رغم محدودية استهلاكهم فيها.

لم تكن في حالة جيدة فصرخت في وجهه بحدة

- أنا استخدمه!

وقف الولد مبهوتا للحظات ثم سألها

- لماذا الحدة يا أمي ؛ فأنا لم أقل شيئا يستحق هذا!

لم تجبه، وإنما استمرت في عملها بصمت مولية إليه ظهرها، والاستياء باديا علىٰ وجهها. لم تدر كم مر من الوقت وابنها واقف يتطلع إليها مستفسرا أو منتظرا ردا منها قبل أن ييأس ويذهب.



لم تأبه لحيرته وضيقه ولكن تركته يذهب معبأ بشعور الاضطهاد الذي أحاطته به في الآونة الأخيرة.

يزعجها أن أبنائها خاصة كبيرهم أصبحوا هم مفرغة لكبتها، تساءلت

- لماذا كنتِ فظة معه؟

لم تكلف نفسها عناء البحث عن جواب، فهي تعلمه جيدا، وإنما سؤالها كان لوما أكثر منه استفسارا. كانت تفكر في الحوار الذي دار بينها وبين زوجها ليلة أمس؛ لذا اعصابها كانت مشدودة، أكملت في خيالها كلامها الذي بترته برودة رده؛ فنام كل منهما حاملا بداخله سخطا علىٰ الآخر لكنهما لا يبوحان به.

تساءلت مخاطبة نفسها: «إلىٰ متىٰ ستظلين هكذا؟»

لم تجب ، ولم تشأ أن تجيب.

عادت إلىٰ الحديث الذي لم تجريه مع زوجها لعلها تستريح من عناء الكتمان، تكلمت كثيرا، صرخت، رفضت، اتهمت! احمر وجهها وزادت سخونته من شدة الغضب، تتغير تعبيرات وجهها حسبما يسير الحديث، فتقطب جبينها حينا، وتبتسم ساخرة حينا آخر.

دائما تدير حياتها في داخلها، تبحث عن دور زوجها في تلك القصة التي هي بطلتها فلا تجده! .. أو ربما تجده هو البطل الأوحد أمامها! لا تتحدث معه إلا عند الخلاف، فدائما هو في مكان آخر، بعيدا كبعد الشمس عن الأرض،

نعم، فهو لها كما الشمس؛ يمنحها الدفء والضياء، لكن إذا اقترب أحرقها! تحب وجوده في ذلك المكان البعيد القريب، ولكنها لا تحب أن يبرحه أبدا.

لامت نفسها كعادتها، أنّبتها علىٰ سخطها المستمر!

عشرة أعوام أو يزيد حاولت أن تخرج عن آليتها لكنها لم تفلح، تبحث عن شغفها ، سعادتها، ضحكتها، فلا تجد كل شيء تفعله بلا روح، ترسم ابتسامة بلهاء علىٰ وجهها كلما أعاد عليها حكاياته المملة، تضحك بصوت عال ضحكة جوفاء إذا ألقىٰ علىٰ مسامعها نكاته السخيفة، يفعل كل شيء ولا يترك لها شيئا.

- تفقدي أحوالنا، هذا هو دورك!

هكذا يجيبها كلما صارحته أنها تفتقد الشغف!

- وماذا عن إرادتي، سعادتي، طموحي؟؟

لا جواب! تصرخ

- حررني!

تنتبه علىٰ صوته القادم من الخلف، دافئا حنونا

- عزيزتي، كيف حالك؟

تتبدل ملامحها، تبتسم رغم ما ملأ صدرها من سخط ممزوج بوخز الضمير

- الحمد لله.

تقولها بعيون خجلة ووجنات متوردة. يسألها:



- هل انتهيتِ من إعداد الطعام؟
- حالا!

يربت علىٰ كتفها بحنو ممزوج باشتياق، ثم ينادي علىٰ الأبناء:

- ساعدوا أمكم في ترتيب المائدة!

تبتسم وقد تبدلت مشاعرها، تقول:

- يكفيني منه ساعده الذي أتوسده كل ليلة!

تطلق زفرة اعتذار، ثم تربت علىٰ روحها الحزينة لعلها تستكين.

أمل منشاوي





تمويه

السماء اليوم يبدو عليها الحُزن، قد تكون فُرصة لتسجيل صورة حية، تنبُض بالانفعالات، أبهر بها العالم مُحرزاً وساماً علىٰ صدر بني قومي.

نسيت أن أقول لك أن آلة تصويري من بنات أفكاري، وكُل قطعة فيها من بلد، فرغت تواً من استحلاب قطرات الشمبانيا، فلا يُمكنني التصوير وأعصابي مشدودة، وربما لا أجلس هكذا ثانية، فالأطفال هُنا مهووسون بوهم اسمه القُدس، والحجارة في أياديهم شواظ من نار!

ها هي نبراتي تعلو، وتفتقد حيادية التعبير! علقت الكاميرا فوق كتفي الأيمن، أغلقت الباب، أتوجه إلىٰ حائط المَبكىٰ، في الطُرقات جنود متأهبون، فُرصة ماسية يجب ألا تمر دون قنص، فمن المؤكد حدوث شغب وحجارة ورشاشات، فالمسلمون يجثمون فوق صدورنا ويحتلون معبدنا المُقدس.

علىٰ فكرة... هؤلاء قلوبهم قاسية، يستكثرون علينا البُكاء.

أرأيتم مثل هذا العنت قبلاً؟

امسك الكاميرا يا فنان... اقترب... أكثر... ما هذا! أين الكاميرا؟ رجُل وولد يستندان علىٰ الحائط، يرسمان بجلستهما قطراً لدائرة محيطها ستة



جنود، الجنود لا يلبسون سوىٰ سترات واقية، وكل فرد بيده فقط بُندقية آلية، وتتحزم جنودهم - يا عيني - بالهراوات الكهربائية، وعلىٰ وجوههم آثار التعب.

الكاميرا بها عدسة مُكبرة، ألم أقُل لك أنني أتربص بالفُرص، الرجل يغمض عينيه ويلوح بيديه في شتىٰ الاتجاهات، والولد يحتمي بجسد أبيه، يُلحد وجهه في عظام ظهره، هذا المشهد لا يعكس الفزع كما يجب، فقط حاجبا الرجُل مزمومان وجبهته معقودة... أصرخ:

طلقات... بارود... موت! الرجُل يفتح نصف عينه المُلتصقة بصفحة أنفه اليُمنىٰ، والولد يتشبث أكثر بأبيه، وجهاهما يضويان بالعرق، ازداد الجنود جُندياً آخراً! هذه الصورة لن تحظىٰ إلا باهتمام بعض المعارض المحلية وصُحف المُعارضة قليلة الانتشار!

وكأنهُم يقرأون خواطري، فيمطرون الحائط بالطلقات، البُكاء والنحيب يتوهان في الضجيج، الكاميرا سجلت ريالة الرجُل ومخاضه ولسانه الذاهل، الرجُل يزحف مُلتصقاً بالبرميل، والولد في أثره.

أين الأحاسيس؟ أين الخفاء المُترجم إلىٰ خطوط؟

يتوقعان... هذا غير كاف! يتسربلان بالرُعب... هذا أيضاً لا يشبع جوع آلتي! ها هي... وجدتها... لابد من قتل الولد.

الصخب والحركة يضفيان علىٰ المكان بُعداً دراميا، الرجُل يفتح عينيه عن آخرهما، أسنانه تصطك وتحتل عشر الصورة.



أحلقه جاف؟! ربما! أدماءه فائرة؟ لم لا!

تقب أشواك رأسه، بيده علبة سجائر، لم تسقُط بعد، ما زالت في هذا الرجُل بقايا جلد، انفجارات فوق رأس الولد، جسده يرتخي، لقطة جيدة... أليس كذلك؟ ها هو الولد يبتعد قليلاً، فوق وجهه شخبطات وتقوسات.

ما هذا؟ أأنف؟! نعم ، المخاض الجاف يصنع قناعًا! لوحة سريالية مُعبرة. أفم هذا؟ أشفتان تلك؟ لا... بل كُتلة شحم مُترهلة، تخفي مخالب كانت يومًا لبنة.

أين العينان؟ كفى... كفى. الصورة لا تنقُصها إلا رتوش بسيطة؛ مُجرد إضافات والمسألة هينة يُمكن مُعالجتها معمليًا.

ياه... ما هذا؟ صدر الولد به عشرات الثقوب... أعذر لي عدم التصوير، ربما يكون بيده حجر.



عصام الدين محمد أحمد

❊ ❊ ❊



بندوور

«بنلف في دواير والدنيا تلف بينا...

ودايمـًا ننتهي لمطرح ما إبتدينا...

طيور الفجر تايهة في عتمة المدينة...

بتدووور»

(ميلاد)

في ينـاير سـنة ١٩٨٠ انطلقـت صـرختي الأولـىٰ في الحيـاة، تـم تسـميتي «محمود» علىٰ اسم جدي لأبي.

(محمود عبد القادر محمود) اسم لـم أختره، لا يشي بأي شيء، كـان أبي فرحـًا جداً لمولـدي؛ فأنـا أول أبنـاءه الـذكور، طـالع وجهـي في سعادة وهـو يحملني للمرةِ الأولىٰ، نظر لي وهو يقول:

- ستصبح مهندسـًا كبيراً بإذن الله.

بسمل وقام بالتكبير في أذني وناولني لأمي التي ابتسـمت لـي، واحتضـنتني، فلقد كنت «نصرتها» علىٰ أقارب والدي كما قالت لي بعد ذلك، فلقد أكدت لهم أنها تستطيع أن تنجب ذكوراً بعد ثلاث إناث!



(طفولة)

«محمود فلتصعد إلىٰ هنا، كي لا تسقط وتجرح»

تقولها أمي... لتجعلني أحزن بعدما كنت في قمة السعادة وأنا ألهو مع أقراني، دائمًا ما تحرمني من الأشياء التي تسعدني بداعي الخوف عليّ!

«لا تقُد الدراجات حتىٰ لا تسقط وتكسر قدمك»

لم أتعلم ركوب الدراجات بسبب خوفها...

«لا تلعب بالكرة حتىٰ لا تصاب أو تجرح»

لم أتعلم لعب كرة القدم كأقراني المجاهرين بها!

لا... ولا... ولا...

الكثير من اللاءات، حتىٰ وجدت متعتي في هوايتين؛ ألا وهما القراءة والرسم، ساعتها لم تمنعني أمي، هنا أدركت أنها المتع الوحيدة المسموح بها، هنا أصبحت عثة كتب حرفيًا، أتغذىٰ عليها، وأسرح بخيالي في عوالمها لأنهل منه صوراً للوحاتي، ولكني صرت وحيداً، أقراني إما يتنمرون أو يعتبروني غريب الأطوار، ولكن أمي كانت تنصحني بأن أتجاهلهم، فأنا مختلف وسأصير شيئًا عظيمًا في المستقبل علىٰ حد تعبيرها، ابتسم لها ويملأ الفخر نفسي الصغيرة، وأواصل التهام الكتب، ورسم اللوحات، حتىٰ أبي يتفاخر بكوني طفل قارئ لا يوجد مثله وسط أطفال العائلة، ولكي يكتمل التنمر من الأقران، أصبت بقصر النظر، لأرتدي العوينات في سن



العاشرة، لتظل الكتب صديقي الوحيد الذي يأخذني لعوالم أخرىٰ، عوالم جميلة أرسمها بفرشاتي فتزداد جمالاً...

«مابنكتبش الرسايل مابنتظرش رد...

لا حد في يوم سمعنا...

ولا بنسمع حد...

طيور العمر تايهة في عتمة المدينة...

بتدووور»

(مراهقة)

بدأت الروايات الرومانسية تأخذ مكان في وسط الكتب الكثيرة علىٰ رفوف مكتبتي، بدأت أحلام الحب العذري تراودني، وبدأت عادتي التي لم أستطع التخلص منها؛ ألا وهي كتابة الجمل التي تعجبني في هوامش صفحات الكتب، بدأ هرمون التستوستيرون يغزو جسدي، ثمة شعيرات تنبت فوق شفتي، وعلىٰ جانب خدي وذقني، لتنضم قائمة جديدة من لاءات أمي...

«إياك و الفتيات، هن من سيدمرن مستقبلك، أنت عبقري وستجد الكثير منهن حولك، عليك بالصبر حتىٰ تتم دراستك»

شعرت بالدهشة كونها تقول ذلك، وخجلت أن أخبرها أنه لا يوجد أحد، من هذه الفتاة التي ستنظر إلىٰ نحيل يرتدي العوينات؟! بالإضافة إلىٰ تنمر كل أقرانه عليه، خجلت أن أخبرها أنني لا أقوىٰ علىٰ الحديث مع فتاة، فأنا أتلعثم عند الحديث مع أقراني، ما بالك بالحديث مع فتاة!

يومـًا شعرت بالحب تجاه جارتي، كانت تصغرني بعامين، لهـا غمـازة رائعـة، اختلس النظر إليها وهي تقف في شرفة منزلها، كـم هـي رقيقـة حالمـة، حتىٰ ذلك اليوم الذي رأيتها تسير مع أحد أقراني، كـان وغـداً مـن الـذين يتنمرون عليّ، حتىٰ أنه لم يكـن متفوقـًا مثلـي، كيـف لهـا أن تحبـه! لـم أدرك أبـداً مـا يـدور في عقلهـا لتفضـل ذلـك الأحمـق، سـاعتها أشـفقت عليهـا، ولكنـي لـم أستطع أن أخبرها بشيء، وقررت بعدها أن أغلق باب الحب.

حتىٰ رأيت (دعاء) رقيقة، خجولة، لها عيون حالمة، كانت زميلتي في فصول التقوية، كنـت طـوال الفصـل أختلس النظر لهـا، حتىٰ شـعرت هـي بـذلك، سـاعتها انتظرتنـي بعـد الفصـل وأوقفتنـي، ليـدق قلبـي في قـوة وشـعرت أنـه سيغادر قفصي الصدري، دقات من قوتها خشيت أن تسمعها و...

«لا تطيـل لـي بـالنظر ببلاهـة أيهـا الأحمـق، هـذا أول وآخـر إنـذار لـك و إلا سأقول للمعلم، وساعتها أنت تعرف ماذا سيفعل»

قالتها بصرامة، وهـي تنظر لـي بـازدراء، ليسـقط قلبـي محطمـًا عنـد قـدمي، ومعه كرامتي، أومئ لها برأسي أنني تفهمت، فتغـادر وزميلاتهـا ينظـرون لـي في تشفي وهم يضحكون...

صفعة هائلة تلقتها روحي...

وقتها أيقنت أن أمي هي من تعلم مصلحتي مثلما تقول...

«نحلم ونحلم بالحياة المُفرحة...

وأتاري أحلامنا بلا أجنحة...



ندور ندور ندور بجناح حزين مكسور...

ساعات نشوف في العتمة...

وساعات نتوه في النور...

ساعات عيوننا بالأسىٰ تفرح...

وساعات في ساعة الفرح ننوح»

(شباب عشريني)

تخرجت من كلية الهندسة بتقدير جيد، كما كان يحلم والدي، أتذكر أنني كنت أهوىٰ الرسم، وكنت أود أن أدرس الفنون التشكيلية، وكمن اعترف أنه فعل كبيرة من الكبائر، صرخ فيّ أبي أنني سأدخل الهندسة، حتىٰ أصير أول مهندس في العائلة، فأنا من يتفاخر بي دائمًا، لتقاطعه أمي وتخبرني أن الرسم هو موهبة جانبية لا قيمة لها، سأصير مهندسًا وهناك الكثير من الرسم في الهندسة، حاولت أن أشرح لها الفرق بين الرسم الهندسي والرسم التشكيلي وأنهما من شجعاني من البداية علىٰ الرسم والقراءة؛ فهي من الهوايات الآمنة كما كانت تردد أمي دائمًا، لكنهما أغلقا أبواب عقولهما في وجهي وأصرا علىٰ رأيهما.

كانت هذه آخر علاقة لي بالرسم، ساعتها أومأت برأسي نفس الإيماءة التي أومأت بها لدعاء يوم صفعت روحي...

فاليوم تلقيت الصفعة الثانية...

تخرجت، أصبحت مهندساً كما أراد أهلي... أبي ذبح شاه، صنعت أمي من لحمه وليمة كبيرة، تم دعوة كل الأقارب والجيران إليها؛ وقتها تحدث عمي أنه يعرف شخص سوف يساعدني لإيجاد وظيفة، وبدلاً من أن يخبره أبي أنه لا يحب الوساطة كما كان يخبرني دائماً، وجدته يرحب، بل ويثني عليه وهو يناوله قطع من اللحم فوق صحنه المليء بقطع اللحم بالفعل! دائماً ما كان أبي يفاجئني في ردات فعله، فهو ينصحني بالصواب ولكنه يثني علىٰ الآخرين في فعل الخطأ!

وقتها تذكرت حين أخبرته عن الغش في الاختبارات، وأن المراقب سمح لنا بالغش، ولكنني لم أفعل كباقي زملائي، فاجئني رد فعله حين نهرني ووبخني وأخبرني أنني أضعت فرصة سهلة للنجاح، وحينما أخبرته أنه من علمني أن الغش خطأ، تلعثم واستدرك في ابتسامة مرتبكة أنه كان يختبرني وإنني قد نجحت في الاختبار!

بعدها حصلت علىٰ الوظيفة عن طريق واسطة عمي، وما هو إلا عام بعد التخرج، حتىٰ أخبرتني امي أنها وجدت لي فتاة مناسبة تصلح لي زوجة، فهي من عائلة محترمة وميسورة الحال، ومعها مؤهل عالي، وذات جمال، أخبرتها أنني لا أفكر في الزواج، وجدتها تصرخ في وجهي

«لا تفكر في الزواج... أظن أنك قد وجدت فتاة أخرىٰ قد نسجت شباكها حولك من فتيات هذه الأيام التي تلهو بالسذج من أمثالك، نعم فأنا لم أستطيع أن أربيك علىٰ الوجه الصحيح، لقد دللتك كثيراً، فلتعلم أنك لن



تتزوج من تلك الساقطة التي تعرفها، وستتزوج من الفتاة التي أخترتها لك، وإلا فلا تعتبر أن لك أم بعد الآن»

شعرت بالدهشة، ما هذا الخيال الذي تمتلكه أمي، ولكنه خيال أشعرني بالرضا، فهناك من يعتقد أن هناك فتاة تحبني، حتىٰ ولو كان من يعتقد ذلك هو أمي.

ساعتها أومأت برأسي لأتلقىٰ صفعة ثالثة لروحي...

«ساكنين في عالم يعشق الخطر

فيه الطيور تهرب من الشجر

وتهرب النجوم من القمر

وتهرب الوجوه من الصور

بنلف في دواير ندورع الأمان

ونلاقينا رجعنا تاني لنفس المكان

ندور... ندور... ندووور»

(شباب ثلاثيني)

صرت أب، أنجبت طفلتين، توفي أبي، وتأتي أمي لتزورني من حين لآخر لتوبخني، فقط لأنني لم أنجب ذكر يحمل اسمي كما تمنىٰ أبي، كنت قد هجرت الرسم، لتلحق به القراءة؛ فلم يكن هناك وقت، فأنا بين العمل والبيت، بالكاد أستطيع تدبير نفقاتنا، حتىٰ ذلك اليوم... حينما رأيتهم في



التلفاز، كان عيد ميلادي الواحد والثلاثين، تذكرته لأنه يوم ميلادي الجديد، فلقد رأيت علىٰ الشاشة الكثير من العيون اللامعة المتقدة بالحيوية والحماس لشباب من جيلي، يخرجون، ويصرخون بالحرية، يتمردون، ساعتها لم أشعر بنفسي وأنا أترك منزلي وأذهب إلىٰ الشارع، حتىٰ صرت وسطهم، صرخت. وصرخت. وصرخت.

يااااااه. لكم اشتقت إلىٰ تلك اللحظة منذ ولدت، أخرجت ذلك الغضب الكامن داخلي، الذي لم أشعر أنه موجود حتىٰ، صرخنا للحرية، صرخنا للكرامة، صرخنا لنولد من جديد، كانت ثورة هادرة، خرجنا من رحم العيب، من رحم التقاليد، من رحم الكبت، صرخنا للميلاد.

أدركت ساعتها أننا قادرين أن نحرك الجبال، قادرين أن نطلق الأحلام التي حبسناها لسنين، صرخنا وضحكنا وتسامرنا وغنينا ولعبنا، عرفت معنىٰ الصداقة حينها، فكل من كان بقربي هو صديق، أدركت أنني لست وحيد؛ فمثلي كثر، هم حولي يتسامرون ويضحكون، يغنون ويحلمون.

ولكن السعادة لا تدوم طويلاً، فقدت الكثير منهم، فالظلم أبىٰ أن يترك حلمنا ينمو دون دماء، ولكننا قاومنا وعند كل مقاومة تهدر الكثير من الدماء الزكية، أفقد الكثير من أصدقائي، ولكن الحزن كان كالوقود الذي يشعل نيران حماسنا وثورتنا، حتىٰ أتىٰ اليوم الذي اعتقدنا فيه أننا انتصرنا، فرحنا كما لم نفرح من قبل، غنينا ورقصنا، أحلامنا أخيراً امتلكت أجنحة ترفرف بها من حولنا وعدت إلىٰ المنزل.



عدت لأجد أن أمي ووالد زوجتي ووالدتها في المنزل، كنت في حالة مزرية من الخارج، ولكني كنت بخير حال من الداخل، احتضنتني زوجتي وهي تبكي، الجميع كان يحمد بسلامتي ولكن أمي وقفت أمامي وهي تقول في صرامة:

- لماذا فعلت ذلك لماذا؟ لماذا خرجت مع هؤلاء المخربين؟ ألا تخاف علىٰ زوجتك، ألا تخاف علىٰ ابنتيك، لماذا تعتقد أنك ستغير شيئًا؟ أنت لا تملك شيئًا للتغيير، أنت...

قاطعتها صارخًا:

- كفىٰ كفىٰ... كفىٰ يا أمي كفىٰ... منذ أن كنت صغيراً وأنتِ تصنعين مني شخص جبان بامتياز، لا تفعل كذا... ولا تفعل كذا... وكذا... لا تفعل... لا تفعل... لقد مللت يا أمي مللت... الآن أنا من يملك القرار، أظن أنني نضجت كفاية لأدرك مسؤولياتي... لا تتدخ...

قاطعتني أمي بصفعة علىٰ وجهي، أحسست أنها أصابت روحي مباشرة، ليسود الصمت المنزل لتقول أمي بصوتٍ باكي:

- لقد أوجعت قلبي عليك، أنت ولدي الوحيد، خشيت أن أفقدك، وكلما كبرت أكثر كان خوفي يزيد.

تنهنه من فرط البكاء وتواصل بحروف متقطعة:

- والآن ولأول مرة، ترفع صوتك عليّ، أهذا ما علمك إياه هؤلاء المخربين!



جريت واحتضنتها وأنا أقول:

- أنا أحبك يا أمي، ولكنك كنت تخنقينني بخوفك، وأصدقائي ليسوا مخربين، لقد حرروني من قيود كثيرة كنت مقيداً بها، حتىٰ صرت أعمىٰ، أصم، أبكم. لقد ولدت معهم من جديد. أرجوك يا أمي أن تفهميني. قلتها ونظرت لها، مسحت دموعها وهي تقول:
- أنا لم أنم منذ اتصلت بي زوجتك وأخبرتني أنك غادرت المنزل، منذ متىٰ وأنت مهتم بالسياسة؟! لقد أبعدتك عن كل ما يمكن أن يؤذيك، وظننت أنني نجحت، ولكن أظن أنني قد فشلت.

قالتها واستعادت نظرتها الحازمة لتواصل قائلة:

- الآن نجح مسعاك أنت ومن تقول أنهم أصدقاءك، من اليوم لا تشارك في أي مظاهرات، ولا دخل لك بالسياسة، ولتعدني بذلك الآن، وإلا فلا تعتبر أني أمك بعد الآن.

ساد الصمت بيننا للحظات وأنا أدور بنظراتي حول زوجتي ووالدها ووالدتها وعيونهم يملأها الرجاء بأن أوافق علىٰ ما تقوله أمي، فكرت وقلت في نفسي أنه بالفعل قد نجح مسعانا و بالتأكيد سيواصل أصدقائي السعي لتحقيق أحلامنا، و أنا لا أستطيع أن أخسر أمي و... وافقت ووعدتها ولم أحنث بهذا الوعد أبداً للأسف... وهذه كانت آخر صفعة تتلقاها روحي...

«ولا حاضر ولا ماضي

تروس بتلف ع الفاضي



ولا فينا شباب زعلان

ولا فينا شباب راضي

مفيش غير إننا بندووور .

ندوووور . ندوووور»

نهاية الرحلة...

أنا محمود عبد القادر محمود أبلغ من العمر واحد وسبعون عامـًا، رزقني الله بابنتين وابنٍ واحد.

وفقني الله ووجدت زوجتي فتاة من عائلة محترمة وميسورة الحال تصلح كزوجة له، فلقد صار طبيبـًا كما حلمت له دومـًا أن يكون، إنه المسار الطبيعي لأحلامي ويجب أن يحققها كلها، لقد أسميته عبد القادر علىٰ اسم والدي، ينتظر ابني طفلاً، بإذن الله سيكون ذكر ليحمل اسم العائلة كما كانت تقول أمي رحمها الله، كنت أفكر في كل ذلك وأنا أجلس وأقرأ أحد كُتبي المحببة، لكم أحببت كاتبها أيضـًا؛ لقد تنبأ بكل شيء، ولكني كنت في الجانب الرابح، علىٰ الهامش، وهذا يرضيني؛ فلم أخن مبادئي يومـًا ولكني كنت أثني علىٰ من يخونها كما علمني أبي رحمة الله عليه، هنا وجدت عبارة مكتوبة في الهوامش، كانت من عاداتي أثناء القراءة منذ زمن، أنزلت عويناتي وقربت الصفحة من عيني لأتبين الكلام، وقرأته لتفيض عيناي بالدموع، شريط ذكرياتي يمر كله من أمامي...

يُفتح باب غرفتي وتُقطع ذكرياتي، لأجد ابني قد جاء فرحـًا، ليبشرني بولادة ابنه الأول، نعم لقد أنجب ذكراً كما تمنيت، سألته:



- ماذا أسميته؟

يرد عليّ:

- وهل هذا سؤال يا أبي! لقد أسميته محمود بالطبع، ولكن لماذا تبكي يا أبي؟

ارتبكت ومسحت دموعي، لأقول له:

- إنها دموع فرحتي بمولودك يا بني...

ابتسم ابني واحتضنني وهو يقول:

- سأذهب الآن لأسجل المولود، لقد جئت لأبشرك أولاً.

دعوت له و لحفيدي، لأعود إلىٰ روايتي، وأنظر مرة أخرىٰ للهامش وأنا اتذكر الكلمات في هامش الكتاب والتي وخزت روحي...

«أنا لا أخاف الموت، لكني أخاف أن أموت قبل أن أحيا»

تمت

- الجملة الأخيرة اقتباس من دكتور/ أحمد خالد توفيق رحمه الله من كتاب «قصاصات قابلة للحرق»
- رؤوس الفصول أبيات قصيدة بنلف في دواير للشاعر عبد الرحمن الأبنودي رحمه الله.



❁ ❁ ❁



ليلى والجني فتى الأسنان

كان طبيب الأسنان علىٰ وشك أن يسجل ليلىٰ... «حالة طفلة غير متعاونة» حين أخذت تصرخ في عيادته، علىٰ كرسي الأسنان، بعد أن رفضت فتح فمها؛ ليقوم طبيب الأسنان بتنظيف ضرسها.

كانت ليلىٰ ذات السنوات الأربعة قد حضرت مع أمها تشكو من ألم شديد شعرت به في الليلة الماضية في ضرسها الأخير من الجانب الأيسر لفكها السفلي، ألم جعلها تبكي طيلة الليلة ولم تنم سوىٰ بعد ساعتين من تناولها للمضاد الحيوي والمسكن، ولكن ما أن جلست ليلىٰ علىٰ المقعد شعرت بالخوف، وأخذت تبكي، ورفضت التعاون مع طبيب الأسنان، وعلىٰ صوت صراخ الصغيرة ليلىٰ وهي تحاول الهروب من علىٰ كرسي الأسنان، فُتح باب العيادة ودخل منه جِنّي الأسنان، أو بالأحرىٰ: الجِنّي فتىٰ الأسنان.

كان يرتدي بالطو طبي أصفر اللون، وبنطلون باللون نفسه، وفوق رأسه «زعبوط» أصفر كذلك، يقود دراجة أصغر كثيراً من حجمه، فقد كان الجِنّي طويلاً، ويحمل فوق كتفه الأيمن بومة بيضاء بديعة الشكل، وفوق الكتف الأيسر غراب أسود جميل، وما أن دخل إلىٰ العيادة حتىٰ أفسح له جميع من فيها الطريق.

كانت ليلىٰ قد توقفت عن البكاء والصراخ وهي تنظر إلىٰ الجِنّي، بينما حافظت علىٰ فمها مغلقاً في عناد، وهي تهز كتفيها رافضة الخضوع لجلسة حشو ضرورية لضرسها، بينما اقترب الجِنّي منها وأخبرها:

- أنا الجِنّي فتىٰ الأسنان، سمعت صراخ ليلىٰ الجميلة، وأنا لا أتحمل أن أرىٰ طفلاً يبكي في عيادة الأسنان.

هزت البومة (بيري) والغراب (غرونو) رأسيهما تأكيداً علىٰ كلام فتىٰ الأسنان، وليلىٰ لا تصدق أنهما يفهمان ما يقول!

أكمل فتىٰ الأسنان:

- اقفزي فوق الدراجة الآن وسنخرج من هنا ولكن بشرط واحد...

استمعت ليلىٰ بكل انتباه، بينما فتىٰ الأسنان يُكمل:

- سوف نزور معـًا جزيرة الأسنان السعيدة، وهناك سأقص عليك قصة ليلىٰ ابنة حاكم الجزيرة، اسمها مثل اسمك ليلىٰ، وإذا أعجبتك القصة، تعديني أن نخضع لجلسة علاج الضرس من دون بكاء، هل توافقين؟

هزت ليلىٰ رأسها بالموافقة، وما أن قفزت علىٰ الدراجة حتىٰ اختفت هي والجِنّي فتىٰ الأسنان من العيادة.

يحكىٰ أن... جزيرة يقال لها جزيرة الأسنان السعيدة، تقع هناك حيث يظن البشر أن العالم ينتهي، بعد نهاية الجبال والمحيطات، خلف السحاب الأبيض الكثيف، كانت الشمس كل صباح تلقي بأول أشعتها الذهبية التي



تصل إلىٰ الأرض علىٰ جزيرة الأسنان السعيدة، حيث مُجسم الضرس العملاق المنحوت منتصف الجزيرة في جبل تغطي قمته الثلوج البيضاء، المجسم الذي غطي بالكامل بطبقات من مادة «المينا» التي تغطي أسناننا الطبيعية؛ لتحميها من تأثير الحرارة والبرودة علىٰ عصب السن الحساس جداً، طبقات المينا التي جمعت من ملايين الأسنان اللبنية التي فقدها أطفال الجزيرة علىٰ مر العصور، أثناء عملية تبديل الأسنان التي تبدأ في سن السادسة وتستمر حتىٰ يصل الطفل إلىٰ ثلاثة عشر عاماً، طبقات من مادة المينا تختلف ألوانها بين الأبيض الشفاف، والأبيض البراق، الأصفر، الأزرق، الرمادي أحياناً، عشرات الدرجات من الألوان التي تختلف باختلافنا، ولكنها كانت تشترك في أنها جميعها نظيفة، لا تغطيها نقطة تسوس واحدة، لا حفرة فيها، حافظ أصحابها عليها حتىٰ وصلت إلىٰ سن تبديلها الطبيعي، هذا ما كان يفتخر به أهل جزيرة الأسنان السعيدة.

يحكم جزيرة الأسنان السعيدة الأمير (حبوب بن دبدوب) وهو أمير محبوب، يحب شعبه ويحبه شعبه، له ابتسامة جميلة، وللأمير ابنة تدعىٰ (ليلىٰ) يحبها كل سكان الجزيرة، المرة الأولىٰ التي رأيتُ فيها ليلىٰ ابنة الحاكم، كانت حين أتمت عامين ونصف العام، وبزغ في فمها ضرسها اللبني الأخير، الضرس الذي أتم عدد أسنانها عشرين سن وضرس، الضرس الذي سيتم استبداله بضرس آخر دائم، حين تكون ليلىٰ في الثالثة عشر، الشيء الطبيعي الذي يحدث للأطفال جميعاً، عدا أن ضرس ليلىٰ الجديد لم يكن ضرساً طبيعيا؛ فقد كان ضرس من الذهب! لامع، قوي، لا يمكن للتسوس أن يخترق جدرانه، وكانت صورة العصب بداخله بديعة



للغاية، كأنها غرفة في مقبرة ملكية، ينام فيها العصب ويصله الدم والغذاء والأكسجين بين جدران من الذهب تحيط به، لقد كان أكثر الأسنان والضروس سعادة.

المرة الأولىٰ التي أصيبت فيها ليلىٰ بألم في سنها كانت تبكي، ولم يكن الألم وحده هو من يبكيها، بل لأنها كانت حزينة؛ لأنها تنظف أسنانها جيداً، وعلىٰ الرغم من ذلك تمكنت بكتيريا التسوس من إصابتها، والأسنان حين يصيبها التسوس تتألم، وحين تتألم الأسنان تصبح حزينة.

أخبر الطبيب ليلىٰ أن أحياناً يكون تسوس الأسنان وراثياً، أخذت ليلىٰ عينيها الخضراء من جدها، وأخذت تسوس أسنانها من جد جدها، يحدث ذلك، مهما اعتنينا بها تكون عرضة للتسوس، ولكن يلزمنا دائماً العناية بها حتىٰ لا يسوء الأمر.

في كل مرة كان سن ليلىٰ يصاب بالتسوس... كانت ليلىٰ لا تخاف من الذهاب إلىٰ طبيب الأسنان، كانت تعرف أن الخوف هو مجرد فكرة تسكن في رأسنا ويمكننا السيطرة عليها، في المرة الاولىٰ التي خافت فيها ليلىٰ من طبيب الأسنان، أخبرها أننا نشعر بالخوف لسبب من أربعة أسباب:

نحن نخاف من الغرباء، لأننا لا نعرفهم، قد يكونوا أشراراً، خاصة أننا لا نعرف أبداً كل شيء في هذه الحياة، ولذا علينا دائماً أن نجمع بين الحكمة والشجاعة، فالشجاعة بدون حكمة حماقة، والجبن يجعل الحكيم يصدق أن عفريت قد يخرج له من القمقم.



نحن نخاف أيضـاً مـن المجهـول، الأشـياء التـي لا نعرفهـا، لـذلك علينـا أن نفتح عقولنا دائمـاً لنرىٰ ونسمع، لنتعلم، وحين نتعلم نعرف، وحـين نعـرف لا نخاف.

نحن نخاف كذلك من تجارب الآخرين المؤلمة حين نشهدها.

ونخاف من الحكايات التي نعـرف مُسبقـاً أنها تنتهـي دائمـاً بـألم، مثـل أي قصة زيارة إلىٰ طبيب أسنان.

نخاف أن نتعرض لمثل ألمهم، ولكن ماذا لو كان الآخرون أغبياء؟

أخبر الطبيـب ليلىٰ أننـا كلمـا كبرنـا تصبـح الحيـاة أكثـر صـعوبة، وفي بعـض الأحيان أكثر ألمـاً، ودائمـاً سيكون علينا أن نتحمل بعض الصـعاب وبعـض الألم؛ لأن الحياة لا تقدم قطع الحلوىٰ مجانـاً.

أخبر طبيـب الأسـنان ليلىٰ أنـه يعلـم أنهـا أصـغر كثيـراً مـن أن تتعـرض لألـم تسوس الأسنان، ولكنها عليها الآن أن تكون كبيرة لبعض الوقت وتتحمـل، عليها أن تتعاون معه لتبقىٰ أسنانها نظيفة، وجميلة، كي تتمكن مـن أكـل كـل ما تريد؛ لأن الأسنان مهمة لطريقة الكلام، لمخارج الحروف ولفظها، مهمة لأنها تجعل شكلنا جميل، مهمة لأنهـا تسـاعد في الحفـاظ علىٰ شكل الفـم، لأن بدونها تتآكل عظام الفـك حزنـاً عليهـا، ويفقـد الفـك مظهـره، الأسـنان مهمة كذلك لعملية التنفس، الأسنان مهمة جداً.

حين أتمت ليلىٰ ابنة الحاكم عامها الثالث عشر، وفقـدت ضرسـها الـذهبي، لـم تكن حزينة، بل كانت سعيدة بالحصول علىٰ ضرس جديد، ضـرس مثـل



ضـروس الكبـار، لا يهـم إن كـان مصـنوعـًا مـن الـذهب أو مـن الكالسـيوم، المهم أن يكون نظيفـًا، وجميلاً؛ ليظل سعيداً.



مصر.

❊ ❊ ❊



فستان زفاف

فَتح الباب الغرفة بتمهل، وجدها تجلس بانتظاره، ترتدئ فستان الزفاف، ترسم علىٰ شفتيها ابتسامة خجلة وتدعوه علىٰ استحياء، دق قلبه بقوة، هرول إليها يضمها لأحضانه باشتياق، يتنفسها بعمق، يتمنىٰ لو يسكنها بين ضلوعه حتىٰ أبد الدهر، شعر بها تذوب بين ذراعيه، يتنفس عميقًا ويستنشق عطرها الأخاذ، الذي يسكره دون مُسكرات، تنساب موسيقىٰ ناعمة من حولهما، أشعلت الأجواء بينهما، صاحبها في رقصة ناعمة، كأن جسديهما امتزجا معًا، تنساب كلمات العشق منها تطرب أذنيه، يكاد يفقد صوابه من حلاوة اللقاء، رفعها ودار بها، هي تتعلق بعنقه، وصوت ضحكاتها الرنان يجوب به في دنيا الخيال، إلىٰ أن وقع، وسقط الفستان معه، فتش عنها كالمجنون، تلاشت كأنها كانت سرابًا، أسند رأسه للخلف يلتقط أنفاسه بصعوبة، ارتعشت أنامله وهي تتوغل في شعره بضعف، أحس بالعجز والتيه، ليعود من خياله علىٰ واقعهِ الأليم، تتساقط دموعه قهراً، دق هاتفه معلن قدوم رسالة، عندما رأها كفكف دموعه، قام بقلبٍ واجم، ورتب الفستان بعناية ولثمه في قبلة وداع، خرج بخطوات تائهة حتىٰ يلحق بحبيبته، ليودعها إلىٰ مثواها الأخير، يرجو من الله أن يجمعهما قريبًا.

مروة نصر

مصر.



الصدمة

كلما حاولت الاقتراب منها شبرًا تبعدني أميالًا، تستثار حاستها الأنثوية عندما ترىٰ انعكاسًا لصورتي في عين إحداهن ولكن الأثر مؤقت ورد الفعل محدود؛ فسريعًا ما تنسىٰ، لا تعيرني اهتمامًا بزينة ولا أريج الإناث الساحر يمس جسدها، وأتساءل... هل ضمنت وجودي أم أنها تراني بصورة أخرىٰ غير قريناتها اللاتي يتزاحمن حولي في النادي؟!

أطربها غزلًا وأملأ أذنيها بمعسول الكلام وعذب الحديث، فلا أجد إلا إهمالًا، ومقولتها الشهيرة:

- كلانا يفهم الآخر، فلا تكثر حديثك ومحاولات إرضائي، أنت في قلبي وليس لي سواك ولكن أنا هكذا خجولة، اعتدت ذلك ولا سبيل للتغيير، ولكن ثق فيّ بحكم عشرة السنوات الطوال.

حفظت أذني تلك المقولة، أغدق عليها بهدايا لا أرىٰ لها مردودًا في عينيها من شكر أو استحسان، وتمضي الحياة، أراجع كل تصرفات حياتي اليومية، علاقتي معها بتدقيق وملاحظة شديدين، لم أر جديدًا أنا أهتم، هي لا تبد رد فعل مناسب للحدث ولا تبالي، بحثت في متعلقاتها، هاتفها ودولاب ملابسها عن أي سبب عكر حياتها أو أزعج روتينها المعتاد، لم أر سوىٰ بقية رسالة مجهولة من خط أكاد أعرفه، كأن صاحب الخط يعاتبها بحدة، يلومها



مؤنبًا عن خطأها الشنيع، واجهتها، دققت النظر بعيني في ثبات، قابلت صياحي بالهدوء وقسوتي باللين، قائلة:

- أما وأنك قد وصلت للمتوارئ والمسكوت عنه، فابنتك ضحية زواجك الجامعي الطائش الذي طالما أخفيته وتهربت من تبعاته، قد آن وقت زفافها، ولا بد لها من ولي.



مصر.

❊ ❊ ❊



الساعين

تناول أحد الرجلين الكتاب الضخم وفتحه عند صفحة بعينها ثم وضعه فوق الحامل الثلاثي.

الآن أدرك (سيف) فائدة الحامل الغريب ؛ أمر طبيعي نظرًا لضخامة الكتاب، من ذا الذي سيُمسك بذلك الكتاب العملاق كي يقرأ منه؟!.

بصوتٍ عميقٍ كبئرٍ مهجورٍ منذ قرون قال الرجل : " يا ذو الأرجِل الثمانية، خلصنا بالسُمِّ إلىٰ الحياة الأبدية، اصنع بلدغتك شهوة الموت راقصة حول الرؤوس، بحق "كا" و "إري حور" المُعظّمين كاسمك، احتضن بذراعيك قلوب الأعداء، للأبد ستحيا، للأبد ستحيا".

ثم اتجّه إلىٰ رأس الراقد فوق تلك المنضدة وفتح فمه ثم سكب قليلًا من السائل الغريب الرائحة بداخله، وبسط كفه فوق صدر الجسد المسجىٰ وتمتم ببعض الكلمات، ثم صمتَ كأنما تحول إلىٰ تمثال.

دام السكون طويلًا حتىٰ ظنّ (سيف) أن الرجال الثلاثة قد تحولوا إلىٰ تفصيله ثابتة من تفاصيل تلك الغرفة الغريبة، ثم فجأة تحرّك الرجل المهيب واستدار وخرج ثم تبعه الرجلان وذابا في الظلام الخارجي، قبل أن ينهض (سيف) من مكمنه، ذهب إلىٰ الكتاب ثم نظر للصفحة المفتوحة وأخذ يتأمل؛ هذه طقوس جنائزية كما توقع، وهذا السائل الغريب هو .. ماذا؟!



طبقًا لما هو مكتوب في تلك الصفحة أن هذا السائل هو سُمّ عقارب صاف!!!، أيُّ عبث هذا؟ أيُّ مكان ملعون هذا؟!.

مرة أخرىٰ سمع أصوات تقترب، ذهب إلىٰ مكمنه ثانية وأخذ يراقب.

تقدم الرجل ذي اللحية الطويلة ومن خلفه دلف إلىٰ الحجرة جسد مهيب، هو ملك، لا شك في هذا، تاج يُزيّنه نقش لعقرب أسود اللون، حرملة صفراء طويلة تتحسس أطرافها الأرض تحته، ذراعان ينتهيان بمعصمين من حديد منقوش، لحية مدببة متوسطة الحجم.

انحنىٰ الرجل الأول لذلك القادم قائلًا : "صاحب القوة والملك، المعظّم (إيشارئيد) ملكنا الجبار، عقرب الأرضين والممالك، مبارك حكمك، مديد عمرك، ملعونة جيوش أعدائك إلىٰ الأبد، قد أتمم كاهنك الأكبر طقوس الإعداد لروح قائد جيوشك وحامي مملكتك ومخلبك اللاسع (نينشازو) كي تستقر في عالم (أرشيكيچال) المخضب بالسُمِّ المقدس في الحياة الأبدية.

انحنىٰ (إيشارئيد) في لحظة تاريخية قلما شاهدها أحد؛ الملك لم ينحني من قبل لمخلوق قط.

ثم بصوت كقرع طبول المعارك قال مع نظرة ذات معنىٰ : "الخلود يا (نابو)، الخلود الأكبر، والآن قبل الدفن.

ثم جمع حرملته وخرج من الغرفة كرياح عاتيه، ثم نظر (نابو) للجسد المسجىٰ ثم فتح فمه مرة أُخرىٰ ووضع فيه شيء ما ثم اغلقه، ثم جلجل صوته : يا حُراس، أبلغوهما بالنهاية.



دقيقة مرت ثم دخلا؛ اثنان في لباسٍ أسود قاتم كَليلةٍ حالكة السواد، خوذة حمراء كنيران مستعرة، رمحان متوسطان الحجم متقاطعان علىٰ ظهر كل منهما، وقفا عن يمين ويسار المنضدة، ثم وضع كُلًا منهما كفه الأيمن علىٰ جانبي رأس الجسد المسجىٰ فوق المنضدة، ووقفا لدقيقة أو يزيد في وضعهما هذا ثم تحركا وانحنيا في إجلال ومهابة للراقد فوق المنضدة، ثم خرجا، وتبعهما الكاهن المعظم.

طال الهدوء، ثم خرج(سيف) من مكمنه في بطء خشيةً أن يدخل شخصٌ آخر للغرفة، ثم وقف قليلًا غير مُصدِّقٍ لما حدث منذ قليل، طقوس جنائزية هي ولكنها أغرب طقوس شاهدها في حياته، طقوس بالسُم؟؟!!.

هزّ رأسه في قوة كأنما ينفُض عنها ما شاهده، ثم ذهب تجاه المنضدة ليُطالع ما تم في اللحظات السابقة فلم يجد الجسد علىٰ المنضدة، وكأنما تبخر.

نظر حوله يمينًا ويسارًا ثم عاد ببصره إلىٰ المنضدة الخالية وفغر فاه في ذهول.

وعاد المكان يعبق بتلك الرائحة الغامضة.



❁ ❁ ❁



دعوة على العشاء

رن جرس المنبه، استيقظ (حازم) من نومه بعد سويعات قليلة من النوم المتقطع، وكعادته دائماً قبل السفر يجافي النوم جفونه، لا مفر إذن من الاستيقاظ حتىٰ لا يفوته موعد القطار المتجه إلىٰ مدينة الإسكندرية الساحلية.

شعر برغبة مُلحة للنوم مجدداً، ولكن حدثته نفسه أن يكمل نومه في القطار المكيف الفاخر لكي لا يشعر بطول مسافة السفر، وفي أقل من نصف ساعة، ارتدىٰ ملابسه وأخذ حقيبة السفر التي أعدها مسبقاً تحسباً لاستيقاظه متأخراً، ولم ينس أن يترك قطته المدللة (فيكي) لتكون في رعاية وضيافة جارته (طنط زيزي) التي دائماً ما كانت ترعاه وتسأل عنه بعد وفاة والدته رحمة الله عليها، فهو يعيش في هذا المنزل وحيداً، توفىٰ أبوه وهو في عمر الثامنة وتولت أمه تربيته، ولم تتزوج رغم عروض الزواج التي انهالت عليها؛ فلقد كانت علىٰ قدرٍ كبير من الجمال ومن أسرة عريقة ميسورة الحال، لكن القدر لم يمهلها أن تفرح بتخرجه من كلية الطب، فلقد وافتها المنيّة قبل تخرجه بعامٍ واحد فقط، حزن عليها حزناً شديداً؛ فهي كانت بمثابة الأم والأب بالنسبة له والسند والعون ولم تنجب غيره، نفض حازم عنه تلك الذكريات المؤلمة وأسرع بالخروج من المنزل مستقلاً سيارة أجرة

متوجهـاً إلىٰ محطة القطـار، فتلـك الرحلـة التـي يقـوم بها مـرتين في العـام أو أكثـر، لزيـارة أمـاكن لهـا ذكريـات جميلـة في نفسـه ومنـزل شـهد أجمـل أيـام طفولته، فلقد تزوج والديه وأنجباه في هـذا المنزل الكـائن في وسـط المدينـة الساحلية الجميلة، حيث كان الأب شريكـاً لرجل أعمال ذاع صيته وسمعته الطيبة بالإسكندرية، وبعد وفاة الأب انتقلت الأم مع وحيدها إلىٰ القـاهرة؛ لعدم استطاعتها تحمل عدم رؤية زوجها في هـذا البيـت وكـل ركـن فيـه كـان يذكرها به، ولـم تتصـرف بـالمنزل بـالبيع، فـإذا أخـذها الحنين سـافرت إلىٰ هناك للمكوث بضعة أيام مع ابنها حازم.

انتبه حـازم علىٰ صـوت سـائق سيارة الأجـرة يخـبره بالوصـول إلىٰ محطـة القطـار، دقـائق معـدودة كـان حـازم داخـل القطـار المتجـه إلـىٰ مدينـة الإسـكندرية، حـاول أن يستسـلم للنـوم ولكـن دون فـائدة، فلقـد كـان خلفـه بالمقعد طفل رضيع لم يكف عـن البكـاء وعبثـاً حاولـت الأم تهدئتـه ولكـن دون جدوىٰ!

لعن حظه العاثر، ومَنّىٰ نفسه بالنوم فور وصوله للمنزل بالإسكندرية.

انقضىٰ من الزمن قرابة ساعتين ونصف الساعة، لـم يقطعهم سوىٰ غنـاء الأم لرضيعها بصوتٍ هادئ، الـذي هـو بـدوره استسـلم للنـوم أخيـراً ولكـن كـان القطار علىٰ مشارف مدينة الإسكندرية، التفت حازم خلفـه ونظـر إليـه نظـرة عابرة وتذكر أمه التي كانت تحثه علىٰ الزواج وإنجاب طفل تفرح به، إلا أنه لـم يفكر في هذا الأمر، ربما لخجله وتردده في إقامـة علاقـة تعـارف مـع فتـاة،



والآن بعد أن ناهز عمره الثلاثين عاماً، شعر أنه لابد من البحث عن شريكة حياته؛ فشعور الوحدة فظيع وقاتل ...

أخيراً وصل حازم إلىٰ المنزل، ألقىٰ بجسده المتعب علىٰ الأريكة بعد أن استلم المفتاح من جارتهم (الحاجة صفية) التي كانت تتولىٰ الاتفاق مع إحدىٰ الخادمات لتنظيف الشقة علىٰ فترات زمنية متقاربة، شكرها كثيراً وبالرغم من أنها إمرأه طاعنة في السن إلا أنها لا زالت تحمل الجميل لأمه، فلقد كان لأمه الفضل في زواجها من شريك والده رجل الأعمال الشهير وأنجبت منه ثلاث بنات هن كل حياتها بعد وفاة زوجها.

***

خلد حازم للنوم أخيراً ولم يستيقظ إلا علىٰ صوت جرس باب الشقة، حيث كانت جارتهم الحاجة صفية تدعوه لتناول طعام العشاء معهما، اعتذر منها بلطف بالبداية ولكنها أصرت، فهي تعيش مع ابنتها الصغرىٰ (مريم) التي تصغره بعام، وذلك بعد زواج ابنتيها الأكبر سناً وإقامتهما خارج المدينة.

شعر حازم برغبة عارمة في إحياء ذكريات قديمة، فبالرغم من هذه السنوات الطويلة لا ينكر أن مريم أول حب له، فبالرغم من تركهما الإسكندرية وهو طفل صغير، إلا أنه ووالدته كانا مواظبين علىٰ حضورهما كل عام عدة مرات إلىٰ هذا المنزل وكثيراً ما كان يجد نفسه يساعد مريم في فهم بعض المواد الدراسية العلمية أثناء تواجده في الإسكندرية وشعر بانجذاب وألفة



تجاهها وأحس أنها تبادله نفس الشعور، وفي إحدىٰ الزيارات صارحها بحبه وكان علىٰ تواصل معها بصفة مستمرة هاتفياً في أثناء وجوده في القاهرة.

لم يفكر حازم كثيراً ووجد نفسه يطرق باب شقة جارتهم الحاجة صفية، فتحت له مريم مُرحبة به، نظر إليها خجلاً وهو يتساءل... هل للقدر دور في أن يتقدم لابنتها أكثر من شخص وهي ترفضهم رغم أنها فائقة الجمال! وتذكر كلمات أصدقائه له... إنه بطريقته هذه لن يتزوج أبداً؛ فهو خجول بطبعه خاصة في تعامله مع الفتيات، ربما لأنه نشأ وحيداً، دائماً يتلعثم ولا يستطيع الحديث مع أي فتاة.

سمع صوت مريم تحثه علىٰ تناول هذا الصنف من الطعام الذي طهته بنفسها، تذوقه وأبدىٰ إعجاباً شديداً به، رجع إلىٰ شقته وهو عازم علىٰ أن يطلبها للزواج من أمها، فهو بسبب خجله وصمته هذا لم تشعر جارته الحاجة صفية بأي شيء مما يجول في ذهنه، فهو لم يقم بأي خطوة إيجابية في هذا الموضوع بالرغم من سفره المتكرر إلىٰ الإسكندرية، وتمنىٰ في هذا الوقت لو كانت أمه موجودة معه في هذه اللحظة الفارقة في حياته و التي سوف تحدد مستقبله، ربما كانت ساعدته كثيراً، وشعر بحاجته الشديدة للبكاء.

نزل حازم إلىٰ السوق لشراء بعض حاجيات المنزل وهدية لحبيبته مريم، عبارة عن عُقد من الأحجار الكريمة غالي الثمن؛ فهو يعلم مدىٰ حبها لهذا النوع من الحلي، و شراء بعض الحلوىٰ ليقدمها أثناء زيارته لأم حبيبته، وفي اليوم التالي اتصل هاتفيا بمريم معلناً عن رغبته بالحضور لزيارتهما ولم



يوضح أكثر من ذلك، رحبت بذلك متمنية أن يحقق الله حلمها بالارتباط به وأن يكون سبب زيارته طلبها للزواج، ولم تصارح أمها بما يدور في ذهنها.

لم ينم حازم تلك الليلة وبدأ يتخيل ما سوف يحدث في الغد وهو يطلب يد حبيبته من والدتها، ثم تنطلق الزغاريد ويتم تحديد موعد العُرس ولماذا لا يحدث ذلك وهو طبيب وجراح ناجح وله مستقبل باهر ينتظره! وشعر بشيء من السذاجة إذا قوبل طلبه بالرفض! واستبعد ذلك نهائيًا، فهو يعلم مدىٰ تقدير وحب الحاجة صفية له ولأمه رحمة الله عليها.

أغمض عينيه وأطلق لخياله العنان بالاجتماع مع حبيبته في بيت الزوجية بالقاهرة وهي بين ذراعيه، فهو لن يتخيل أحد غيرها زوجة ورفيقة العمر، بدأ يردد الكلمات التي سوف يقولها لأم حبيبته ويحفظها عند طلب يدها للزواج.

وفي اليوم التالي...

استيقظ حازم علىٰ غير عادته مبكراً واحتسىٰ فنجان من القهوة، وقبل الموعد المحدد وجد نفسه متردداً وخائفًا من هذا الموقف ولقد نسىٰ كل ما حفظه بالأمس مما سوف يقوله للحاجة صفية! استجمع قواه وطرق الباب، فتحت له مريم، دخل علىٰ استحياء، قدم هديته الثمينة إليها، وبدأ يتحدث بعد أن تصبب عرقًا، موجهًا الحديث إلىٰ الحاجة صفية عن رغبته وسعادته بالارتباط بابنتها المصون مريم، إلا أنها نهضت من مكانها فجأة معلنة رفضها الشديد! أسقط في يد مريم ودخلت غرفتها مسرعة تبكي.



شعر حازم بالإحراج وخيبة الأمل وأن الأرض تدور به وقدميه لا تقويان علىٰ حمله، وطلب من الحاجة صفية أن تبرر له لماذا رفضته! وهو لم يكن يتوقع منها ذلك وكسرها لخاطر ابنتها وجرحها لقلبه العاشق! نظرت إليه الحاجة صفية وهي تربت علىٰ كتفه مواساية له قائلة:

- يا حبيبي لا تحزن إن مريم أختك من الرضاعة.



مصر.

❊ ❊ ❊



العرّافة

دخل مع صديقه مُرغمـاً لخيمتهـا، تجلـس علىٰ مقعـدها الواسـع، مـن بـين دخان البخور طالع وجهها المتغضن، وكفّيها «المكرمشين» بالتجاعيـد، إذا تلك العرافة الغجرية الكالحة من يجره صديقه حتىٰ تقرأ له طالعـه، ليشـارك الجميع بذلك المهرجان، ما أن استقر وجلس أمامهـا حتـىٰ نظـرت في عينيـه نظرة عميقة مخيفة شعر كأنها سبرت أغواره!

وقالت:

- اختر ذات السوار، بقلبها الخير والعمار.

خرج عامر والأفكار تعصف برأسه، أيكون دماره مـن حبيبتـه، كيـف علمـت العرافة؟! لقد حاول أن يخفي أصل حبيبته عـن الجميـع، أقـرب أصـدقائه لا يعلم إن حبيبته يهودية تحمل جنسية ذاك الكيان الغاصـب، لقـد ذاب بسـحر عينيها الزرقاوين، تاه في فتنة شهد شفتيها، لقد ذاب في سحرها، كانت الشهد الـذي يـذيب مـرار غربتـه، صـحيح لـم يتحـدثا عـن اخـتلاف دياناتهمـا، ولا انتمائهمـا لفصـيلين متناقضـين، لـم تفـرض عليـه الانتمـاء لـدولتها، مـاذا لـو كانت عميلة لذاك الكيان؟

ماذا لو كانت ستطيح به في مستنقع الخيانة والعمالة لحسابه؟



وصل لمقر سكنه، الأفكار لم تفارقه بل تنهشه، تهز دواخله.

فتح نقاله... تأمل صورهِ رفقتها، كيف تكون ذات الملامح الملائكية الناعمة من تنهي عالمه!

تذكر كلمات العرّافة، لقد قالت اختر ذات السوار، يا إلهي من أين علمت بتلك المعلومات الدقيقة عنه، تذكر بينما كان يستعد للسفر، لتلك الدولة الأوربية، رفيقة الطفولة وصديقته بجامعته، أهدته سوار من خرز؛ لجلب الحظ السعيد كما قالت له ضاحكة وقتها، أردفت قائلة:

- وكلما ضللت بمجاهل الغُربة تذكر، خلفك من تدعو لك أن تنجز رسالتك بأسرع وقت مكللة بالسداد والتوفيق.

توالت الأفكار برأسه حتىٰ كاد أن ينفجر، كيف لمثلة أن تؤثر به عرافة! وهو يعلم تمام العلم أن كلمات العرافين ما هي إلا تُرهات فارغة، عقيدته تقول ذلك، هتف صوت داخله بتساؤل:

- لكن لماذا لم تبتعد عن حبيبتك

عندما علمت أنها... إسرائيلية، هل العرافة من ستسكب دلو الحقيقة فوق رأسك، لتفيق من غيبوبة عشق كُتب عليه الفناء ملطخاً بالعار؟!

من سيقبل بها، مجتمعه جُبل علىٰ كراهية ذاك الكيان فكيف بأن تكون بينهم من تحمل هويته!



أمسك رأسه بين يديه، يريد إيقاف أفكاره التي تكاد أن تقضي عليه، نفضها، قام وأخذ سترته من المشجب وهبط للأسفل، يقطع الطرق سيراً، لعل برودة الهواء، تهون عليه أفكاره المستعرة بخلايا دماغه.

أفاق من شروده على صوت نفير سيارة تسير بسرعة جنونية، ليرى نفسه طائراً بالهواء ويسقط في غياهب غيبوبة عميقة مظلمة!

***

إنه يفتح عينيه...

صورة مشوشة وخيالات مهتزة، ثم سقط بغيبوبته مرة أخرى، يخيل إليه أنه يسمع صوت صاحبة السوار، كأنه يأتي من بئر سحيقة:

- هيا... لا بد أن تقاوم ذلك الظلام الذي يغزو خلاياك الرمادية، هيا يا صديق الطفولة، كيف تستسلم لذلك الظلام لطالما كنت أيقونة الشجاعة، لقد تعلمت منك المثابرة، لقد لحقتك بغربتك لأكمل دراستي العليا وقد طمأنت نفسي بأنك وطني بغربتي، كيف تستسلم! لابد أن تقاوم لتشد عضدي، فكيف سأحيا بدون رفيق دربي!

كان صوتها يزيح الظلام من خلايا رأسه، فقاوم وقاوم يحاول رفع ثقل جفنيه، لا يعلم ما يسمعه حقيقة أم مخاض مخيلة مرهقة، حرك جفنيه وفتح عينيه بعد جهد؛ ليرى ممرضة تسحب المحلول من ذراعة مبتسمة:

- الحمد لله على سلامتك.



- أين أنا؟

قالها وهو يشعر بثقل لسانه وآلام بجسده.

- بالمشفىٰ.

قالتها الممرضة وهي تبتسم، أردفت:

- لقد أخبرنا الطبيب بأنك ستفيق اليوم بشكل كامل.
- الحمد لله علىٰ سلامتك.

انساب الصوت لأذنيه وانتفض قلبه، إذاً صحيح ما كان يسمعه،

لم يكن يحلم!

التفت بعينيه ليرىٰ صديقته صاحبة السوار، بريق السعادة يلمع بعينيها، عانقت كفه الكبير بين كفيها الرقيقين، همست:

- لا تعلم مقدار سعادتي بعودتك إلينا.
- عودتي؟ هل طالت مدة إغمائي؟!

ابتسمت تلك الابتسامة التي طالما أحبها التي أظهرت أسنان لؤلؤية مخبأة خلف شفاه وردية.

- إغماء... أي إغماء! لقد كنت بغيبوبة شهر وعشرة أيام.

وأكملت معاتبة:

- أهكذا تستقبل صديقة طفولتك!
- لم يكن بيدي، ولم أكن أعلم أنك ستلحقين بي هنا!



- كنت أريد مفاجأتك بأني سأكمل دراستي العليا هنا، لكنك أنت الذي سبقتني بالمفاجأة هذه المرة، لأجدك طريح الفراش مجبس الأعضاء!

نظر لها بودّ هامسًا:

- ما كان الأمر بيدي!
- سائق السيارة قال كأنك كنت تنوي الانتحار!

وعادت ذكرياته وتوتره من كلمات العرافة الغجرية، سأل:

- هل زارني أحد غيركِ بالمشفىٰ؟

غمزت بطرف عينيها:

- أتقصد تلك الفاتنة ذات العيون الزرقاء؟

هز رأسه:

- وأصدقائي الشباب؟
- لقد كانت تأتي كل يوم في الأسبوع الأول ثم اختفت!

***

مرت الأيام، وبدأ يتعافىٰ وحبيبته صاحبة العينان الزرقاوان اختفت من حياته، كأنها لم تكن! ماذا لو كلمات العرافة حقيقة وكانت رسالة من القدر له، ماذا سيحدث له لو كان سقط معها بوحل الخيانة!



وجود صديقته صاحبة السوار بقربه كأنما أعاده لرشده، فأفاق من غيبوبة العشق الممنوع، الذي لن يجلب له سوىٰ دمار مستقبله.

تساءل هل من الممكن أن يعود الزمن للخلف ويرمم علاقة قديمة كانت تجمعه بصاحبة السوار؟! كان يتساءل بينما صاحبة السوار جالسة بحجرتها تحرك خاتم ببريق ماسي، يزين بنصرها ينعكس بريقه مع بريق الحب بعينيها العسليتين لصاحب الخاتم.

وعادت بذاكرتها...

لم يوافق والدها علىٰ سفرها للبعثة الدراسية، خوفًا عليها من الوحدة، تقلبات مشاعرها بغربتها، وفي يوم جاء والد عامر يبارك لها منحتها، حاملاً معه الهدايا، كانت أجمل الهدايا تلك العلبة المخملية التي تتزين بخاتم الماسي، ليعلن خطبتها لعامر، هامسًا بأذنها:

- ليتك تعيديه معك، فقد تعود نبضات قلبه لمسارها الصحيح، فقد يثير رؤية الخاتم بإصبعك غيرته، ليعود شغف حضورك بمحيطه.



❋ ❋ ❋



أغرب معشوق على الأرض

ذاتَ صيفٍ ذهبتُ لزيارةِ معشوقي الأثير علىٰ ساحلِ البحرِ الأحمر – حيث تَعانُق المياهِ بالجبال – في لوحةٍ سبحان مبدعُها، أجلسُ في خلوتي به، أعشق مناجاتي له، قرر أحد إخوتي اصطحابي في مغامرة داخل البحر، كمحاولة لتعليمي العوم والاستمتاع بمياهه الصافية، لكني أفضل الجلوس إليه علىٰ الشاطئ، في هدوء دون اقتراب؛ لأني أخاف أن يأخذني العشق إلىٰ العمق فأغرق بين أحضانه، لكن أخي صمم وجذبني بلطفٍ، فاستسلمت وحملني بين ذراعيه، طلب مني أن أغمض عينيّ، وأسلم للموج ذراعي ففعلت، واستلقيت علىٰ ظهري، وأنا أشعر بالأمان والنشوة؛ يديّ أخي تحملاني وتهدهداني كأني فراشة علىٰ صفحة الماء، مضىٰ وقت طويل من الاسترخاء... وبعد فترة حملتني اليدان نحو الشاطئ.

فتحت عيني نظرت حولي لأشكر أخي علىٰ الإحساس الرائع الذي منحني إياه، لكني لم أجده! وجدت أخي يجلس يراقبني من بعيد وفي عينيه ابتسامات تعجب! نظرت حولي فوجدتني وحدي، جاءت الموجة تتراقص حولي وتلفني بحنان.

همست لي...

المحب لا يخاف محبوبه... أخيراً حظيت بك

كريمة جعفر



الفصل الثالث

ليلة عاصفة قطعت علىٰ إثرها الكهرباء، عم السكون أرجاء المكان، وفجأة تعالىٰ صياح طفلها، انتفضت من نومها، قفزت من سريرها بعد أن أمسكت بالشمعة التي أشعلتها بسرعة لتنقذ ابنها الخائف، تبع نحيبه توسلات وكأنه يحدث شخص، وصلت لغرفته واحتضنته بقوة، ربتت علىٰ شعره في محاولة لتهدئته، أحست بنبضات قلبه التي أرادت الخروج من مكانها، أمسكت صدره بباطن ويدها وقالت له مازحة:

- يا لحظي! أقول للجميع بأن ابني قد بات رجلًا وأنت تخاف الظلمة.

نظر لها وذقنه المرتعش منعه من الحديث، ثم حام ببصره إلىٰ الفراغ، تابعت نظراته ثم أردفت:

- ما بالك، أهناك ما يخيف؟

جال ببصره أرجاء الغرفة، اقترب منها وقال لها هامسًا، عليك الانتباه منهما، فقد قررا التخلص منّا الليلة.

تصاعدت أنفاسها وأجابته في خوف:

- من تقصد؟

- ظلينا، أراهما كل ليلة يتهامسان رفقة ظله، اليوم سمعت حديثهم وعندما رأوني غضبوا وقطعوا الكهرباء.
- حبيبي، هي مجرد أحلام صدقني.

ارتعش ثغره واغرورقت عيناه وقال لها:

- لا تصدقيني كعادتك، انظري لا يوجد لنا ظل، لقد استحوذ عليهما.
- من هو؟

قام باحتضانها بقوة وأجهش باكيًا ثم قال، ذاك الواقف خلف النافذة.

أنيسة سالم





دعها ينام

الطريق تبدو لناظرها وعرة ولسالكها وعرة جدا، هكذا أخبرها السلف من عابريها: «طريق جبلية بدروب ضيقة» هذا ما أفشت به إحدى أترابها ممن سبقها إلى «بيت عدلها» حتى جدتها التي عرفت بموضوعيتها وحكمتها أخبرتها الأمر ذاته:

«طرق شاقة ومنهكة، وربما قاتلة»

«إنها سنة الله في خلقه» هكذا حدثتها والدتها أيضا

هذا التململ والتردد بدده نور انبعث من قلبها، أخبرها بمتعة السير وحتمية الوصول، فتزودت بالعتاد والعدة وأخذت طريقها كسابقاتها، ستكون زوجة ثم أما.

جميلةٌ هي كبدر أشْبَع السماء ضياءً ليلة اكتماله، وجهها قطفة من النجوم غلّف بياضه حمرة زادته جمالا، حجر نفيس استقر بمحجري عينيها تلمع بهما نظرة رضا، اكتسبت من والدها الخلق الحميد وتمرست على حسن الجوار و تقديس الرابط الأسري، فكانت وأخواتها كحزمة حطب يعانق الواحد الآخر ليزداد صلابة؛ منعا من السقوط أو الخروج عن منظومة متراصة البنيان إن تداعى عودها هوت ثمارها.



دون أن تنظر إلىٰ العراقيل، مشت بتؤدة تتلمس خطاها الأولىٰ كزوجة، ثم هرولت، ركضت، ترنحت، توقفت، أضناها طول الطريق و عبئه، فكرت في العودة أدراجها، فتراءت لها أشباح التخلي وما تجلبه من ويلات لا تعد ولا تحصىٰ.

تسلل الشك إليها، ربما هي من أخطأ الطريق! احتكمت إلىٰ بوصلة قلبها طالبة العون علها تسلك حياتها مع من اختاره قدرها بسلام، مجرد المحاولة أخمدت لهيب الشك بداخلها، عادت بعزم أعتىٰ هذه المرة، والتهمت ساقاها طريق الحياة حذوه، تتالت السنون وأصبحت أما لثلاثة أبناء، وغربة.

علىٰ ذراعيه استقر رأسها المحشو بالهموم، فارقت الحياة لسويعات؛ رأت نفسها تقف علىٰ القمة تلتقط أنفاسها، نبضات قلبها متسارعة وارتعاشة تملأ جسدها، رافقهما شعور غريب في لحظة الوصول، جالت بناظرها في رحاب المكان لتثبتهما علىٰ رجل قابع علىٰ صخرة كبيرة حادة بعض الشيء مثبتا قدميه؛ وكأنهما مغروستان في الأرض.

- يبدو أن هناك من سبقني!

اقتربت رويدا رويدا ألقت التحية، هز برأسه، رجل خمسيني كسا رأسه الشيب، ذو لحية متدلية وكأن موسم قطافها لم يحن بعد، تتشابك فروعها مع جذور شواربه الغليظة كغابة أمازونية، عينان تلمع بهما سهام النصر، أمعنت النظر فيه غير أنه لم يعر لوجودها اهتماما، جلست حذوه علىٰ صخرة ملساء أقل صلابة من خاصته.



دقائق مرت ولم يتفوه كليهما ببنت شفة، كانت تردد في نفسها؛ هذا ما سيبدو عليه زوجي حين يبلغ من العمر ما عليه هذا الرجل، تبدو ملامحهما متشابهة إلىٰ حد بعيد، لم يكن أمر الحديث معه بالعسير، هي التي عرفت بجرأتها.

- لا تبدو عليك علامات التعب، يبدو أنك وصلت منذ زمن بعيد.!

إلا أنه لزم الصمت، سكتت لبرهة ثم أردفت قولها:

- يمكنك أن تخبرني عما شئت وكيفما شئت.

آثر الصمت أيضًا، غير أن ذلك لم يثنها عن مهمة افتكاك الكلمات عنوة من فيه. وضعت ما تيسر من زاد وطلبت منه مشاركتها الطعام، ابتسم ولبىٰ دعوتها ولسان حاله يقول «جائع أخاك فلا مفر» وما إن انتهيا من الأكل حتىٰ عاد إلىٰ سكونه.

تناحرت هي مع فضولها لبعض الوقت، أرادت أن تطحن هذا اللعين فترديه ذرات تقذفها من هذه القمة لتستقر في المنحدر، فتعلو هي بذاتها عما يؤرق عينها ويؤلم قلبها، ثم بصوت أقرب لنهنهه؛ انهالت عليه بوابل من الأسئلة:

- من تكون؟ كيف وصلت إلىٰ هنا؟ ومنذ متىٰ؟ وماذا بعد؟ ثم ماذا لو...؟

لم يستطع بعد ذلك صبرا، أدار رأسه إليها، رفع سبابته بوجهها قائلا:

- نلتِ شرف المحاولة.

أجهشت بالبكاء ثم نظرت إلىٰ السماء وأطلقت صرخة مدوية:



- ما هكذا تؤخذ القوارير!

«أمي... أمي، أين جواربي البيضاء؟ لم يعد هناك متسع من الوقت.

تململت قليلا ثم على مضض فتحت عينيها، أدارت رأسها للخلف؛ وجدت زوجها متكورا تحت الغطاء. قالت بتهكم:

- لازلت تحتفظ بعادتك السيئة؛ تلتف بالغطاء تاركا إياي أعاني من قسوة البرودة.

علا صوت الابن:

- أمي أخبري أبي بأنني أريد بعض النقود

- صهٍ... دعه ينام.

تمت.

رفيقة. سيرين. أم آسر

جامعة الدول العربية







- معذرة أيها الطبيب فقد جئتك في وقت متأخر، ولكن الأمر هام ولا يمكن تأجيله بأي حال لم يعد لديك وقت!

أشار له الطبيب أن يجلس وهو يقول:

- لا عليك يا عزيزي جون، لقد اعتدت علىٰ مثل هذه الزيارات المتأخرة؛ فطبيعة عملي كطبيب نفسي جعلتني أعتاد علىٰ مثل هذه الأمور.

تناول أوراقه وقلمه، جلس علىٰ الكرسي بجانبه أمام المدفأة، أشار إليه أن يجلس، ضغط علىٰ زر التسجيل وهو يقول:

- فقط اجلس واسترخ وتحدث بما تريد وأنا سأنصت إليك جيدًا.

لم يعره أي انتباه كأنه لم يسمع ما قاله له، اقترب منه وهو جاحظ العينين، يبدو القلق والاضطراب علىٰ وجهه:

- أخرق... مجنون... معتوه! هذا ما يقوله الجميع عني لكني لست كذلك، بل أنا العاقل الوحيد في تلك البلدة اللعينة، لكنهم جهلاء لا يعرفون ما الذي سيحل بهم، لقد حذرتهم مرارًا ولكنهم سخروا



منى، أتعرف ماذا قال السيد موريس عندما ذهبت إليه أخبره بموعد موته!

حدجه الطبيب بنظرة، ازدرد ريقه، عدل نظارته وأعاد وجهه إلىٰ الورق ثانية.

استطرد وهو ينظر إليه:

- نعم، أعرف ما يدور في رأسك أنت الآخر، لابد أنك تنعتني بالمجنون مثلهم.

هز الطبيب رأسه نافيًا:

- لا، لم أفعل هذا، تحدث وكأنك تتحدث إلىٰ نفسك ولا تلق بالًا إليّ.

جلس علىٰ ركبتيه بجانب الطبيب، نظر إليه، قرّب فمه من أذنه، همس وهو يتلفت حوله:

- الصور، الأصوات تتلاحق في عقلي بمجرد اقترابي من أحدهم!

ابتعد عنه، جلس علىٰ الأرض كمن يتذكر، رفع حاجبه الأيمن إلىٰ الأعلىٰ وهو يقول:

- أرىٰ حياته كلها منذ وُلد وحتىٰ اللحظة التي أقف فيها معه، تطور الأمر معي فأصبحت أعرف موعد موت أحدهم بساعات، كلما ذهبت كي احذره سخر مني، يا لحمقهم! فهم المجانين ولست أنا، بل أنا صاحب قدرات خارقة لم يستطع عقل كائن بشري أن يصل

إليها، لكني استطعت ذلك بمساعدتها... نعم هي من قالت لي ذلك.

- من تقصد؟

تلفت يمينًا ويسارًا، قرب فمه من أذنه، همس:

- إنها «جين»

وأخرج من جيبه جمجمة من البلور وقربها من وجه صديقه:

- ها هي... أنظر! انظر كم هي جميلة.
- يا إلهي ما هذا، هل يمكن أن ألقي عليها نظرة عن كثب؟!

انتفض:

- لا... لا، فهي لا تحب أن يلمسها أحد سواي.
- حسنًا... لا تغضب يا صديقي، فقط اجعلني أنظر إليها وهي في يدك.

نظر الطبيب إليها وهو يتعجب:

- لم أر مثيلًا لها من قبل، أين وجدتها؟
- في الغابة عندما ذهبت معك أنت و «مايك» في الغابة منذ سنتين.
- ولماذا لم تخبرني بها منذ ذلك الوقت؟

اقترب منه، نظر في عينيه، قال:

- لأن موعد موتك لم يكن قد حان وقتها.



ازدرد ريقه:

- ماذا تقصد؟

جلس بجانبه:

- لقد كدت تقتل أخيك وأنت في التاسعة من عمرك، أليس كذلك؟

جحظت عينا الطبيب:

- ما هذا الهراء الذي تقوله؟!

استطرد:

- ليس هراء وأنت تعلم، هل ما زلت تتذكر ماري؟

انتفض واقفًا وهو يصرخ:

- من أخبرك بكل هذا؟

ضحك، همس بصوت خفيض:

- إنها جين.

لكزه في صدره، فعاد إلىٰ الخلف عدة خطوات حتىٰ أصبح أمام المدفأة:

- أعلم أنك لست مجنونًا، هيا أخبرني الآن وإلا جعلتك تلحق بماري وأنت بالطبع تعلم أين هي.

ضحك:

- أعلم... لقد دفنتها في القبو منذ ثلاث سنوات.



ابتسم ابتسامة خبيثة:

- لنرىٰ الآن هل ستنقذك جين أم ستتركك تموت وحدك.

ركض نحوه بكل ما امتلك من قوة، ابتعد جون من أمامه بسرعة فسقط الطبيب داخل نيران المدفأة التي لمعت نيرانها في عين جون قبل أن يهرول مبتعدًا إلىٰ خارج البيت.



❊ ❊ ❊



لوحة على الحائط

ما هذه اللوحة الغريبة المُعلّقة في وسط الحائط؟ عندما قمت بشراء هذا البيت الجديد، لم أر هذه اللوحة من قبل، لم وُضعت هنا؟ وما المقصود منها؟ إنها لوحة لطفلين في سن العاشرة تقريبًا، أحدهما يقف بظهره، ويرتدي قميصًا وبنطالاً قصيراً كشف عن ساقيه، إحداهما سليمة والأخرىٰ مبتورة، ويستند بكلتا يديه علىٰ عكازين حديدين، والطفل الآخر يرتدي جلبابًا أبيض و يجلس القرفصاء، فكشفا عن مسمارين قد دقا بعناية في لوح خشبي قديم، الاثنان يقفان علىٰ رصيف إحدىٰ محطات القطارات، إن منظر القطار يذكرني بما حدث منذ زمن بعيد، تُرىٰ صاحب البيت يعلم أنني أخبئ داخل البنطال ساقًا صناعية؟!

أيسخر مني هذا الكائن؟ إني أرىٰ ضحكته الساخرة مني في هذا الطفل الجالس القرفصاء، ولَمَ أيضًا يضع يديه علىٰ الساق الباقية لدىٰ الطفل الآخر؟ أتراه يود أن يودي بها هي الأخرىٰ بفعل صبياني؟! أتكون زوجتي؟ أقصد من كانت زوجتي، هي من وضعتها لتعيرني بها، الكل يهزأ بي ويسخر مني، أنا أفضل منهم جميعًا، حققت ما لم يستطع أحداً أن يحققه، عندي أرصدة في البنوك بمختلف أنواع العملات، سيارة فارهة، منزل صيفي وآخر شتوي، وهذا البيت كذلك، ولكن لا... لن أسكن فيه، سأرده علىٰ صاحبه



وأسترد مالي، ربما وُضعت بطريق الصدفة، ربما نظرة هذا الطفل وبسمته حانية، ربما نظرته كنظرة زوجتي لي وأنا أسأت فهمها، دائماً ما كانت تنظر لي بعين لا أعلم معناها... هل هي شفقة، حب، أم حزن عليّ؟ كنت دوماً ما أنهرها وأقول لها:

- لا تنظري لي هكذا، لا تساعديني؛ لا أحتاجك، بل أنتِ من يحتاج لي ولأموالي.

تتركني وتدخل غرفتها وتغلق الباب عليها، وأسمع نحيبها وهي تبكي حظها العثر، إلا أنها كانت دائماً ما تثير حنقي عليها بكثرة حديثها عن مشاكلها اليومية التافهة؛ إنها مملة بينما أنا شخص مثير وجذاب وأستحق من هي أفضل منها بكثير، ولكني الآن أشعر بالوحدة، يجثم علىٰ صدري ما لا أتحمله من هموم.

أتراها سعيدة الآن بفراقي لها؟ سمعت أن خاطب ودّ جاءها... هل ستقبله؟ لمَ أنا مشغول بها؟ هل ما زلت أحبها؟ أرغبها وأشتاق إليها؟

إنها السبب فيما وصلت إليه من عجز، كان لابد أن أعاقبها وتدفع الثمن، كان لابد أن أجلدها بسياط الندم علىٰ ما فعلت بي، ولكن بكاءها كان يهز كياني.

كانت عادة ما تقول أنها تحبني، هل كانت صادقة؟ ربما، هل أذهب إليها وأعتذر منها؟ لا... لن أفعل، لقد مر أكثر من أربعة أشهر علىٰ فراقنا، وكل يوم أتطلع إلىٰ هاتفي، أنتظر مكالمة أو رسالة ولا تفعل، ولكن كيف وأنا من أهنتها؟! واعتديت عليها، ولم أترك سبيل للإيذاء إلا وفعلته بها، كان



صراخها يشعرني بالنصر والزهو، وكلما زاد صبرها زاد معه إصراري وعنادي، علىٰ أن دموعها كانت ما تمحو هذا النصر بلحظةٍ واحدة، عليّ أن أتحمل نتيجة أفعالي، أن أنظر إلىٰ هذه اللوحة كل يوم، وأجتر أحزاني ووحشة لا منتهىٰ لها.

الآن عليّ أن أتجرع نفس الكأس بإرادتي؛ لعل ذلك يشفي بعض جراحها، وبينما أنا مستغرق في التفكير، إذ بطرقات غاشمة متلاحقة علىٰ الباب، فتوجهت لأفتحه، ومن شدة ارتباكي تعرقلت إحدىٰ قدماي في منضدة قد وضعت في منتصف بهو هذا المكان اللعين، حتىٰ أني كدت أن أسقط علىٰ أرضية المكان، لولا أن تمالكت نفسي واستندت بإحدىٰ يداي علىٰ الحائط، وبمنتهىٰ الغضب قمت بفتح الباب مع سيل من السباب، فإذا بشخص ذي ملامح خشنة، كأنه أتىٰ من ليلٍ حالك السواد، يرتجف أمامي لوقع سبابي عليه، لا أعلم من فينا الخائف من الآخر! أمعنت النظر فيه لعلي أتذكر هل رأيت هذه الملامح من قبل؟

وبصوت أجش قال لي:

- أي خدمات أخرىٰ يا باشا؟
- من أنت؟
- أنا حارس العقار يا باشا، وقد وضعت لك حقائبك، وقد قامت زوجتي بترتيب المكان، وتزيينه بما أحضرت سعادتك من تحف وأنتيكات، هل أعجبك ما قامت به زوجتي يا باشا؟



وظل واقفاً أمامي، وأنا شارد الذهن كمن غاب عن وعيه للحظات معدودة، وهو يردد نفس كلماته الخرقاء، التي جعلتني أفق علىٰ ما لم أكن أتوقع حدوثه، وأعطيت له ثمن انتظاره وأكثر، مع ما تفضل لساني به من لعنات تصحبه هو وزوجه، وأغلقت الباب وعاودت النظر إلىٰ اللوحة من جديد، يبدو أنني سأقف أمامها طويلاً!

لكن ما لفت انتباهي أكثر مكالمة جاءتني من صديق قديم قال لي:

- عندي لك خبر سار، قد فازت لوحة طفولتنا القديمة بالجائزة الأولىٰ، رغم أنك كنت وقتها... آسف.

صفاء كروش

مصر.







أصابني الهِرم، لم أعد ذلك الشاب اليافع، لطالما تملكني الخوف، أوهمت نفسي أن الخوف نجاة من الأهوال، الحياة في «ح» كالحياة في قعر جهنم، نجوت بالخوف فقط، فلتصفحي عني يا «حميدة» لم أستطع أن أحتضنك بين ذراعي حينما نهش جسدك الطاهر هؤلاء الأوغاد، تخطيت عامي السبعين وهم أولي بأس وقوة، فتية أغرتهم قوتهم، لم أعد يا عزيزتي قادرًا إلا علىٰ التدوين، أخط الخط لك كما السابق، أرجو أن يمسني ملك الموت بريح منه لألقاك، ولولا أنني لا أملك من نفسي شيئًا لقتلت نفسي.

أتتذكرين يا مهجتي حين كنت تدافعين عن شباب «ح» ألم تقولي:

- إنها مصيبة وقعت علىٰ رؤوس الشباب، لا تقسوا عليهم يا «حمدي» هذه نتيجة متوقعة لم يعد لدينا فتيات، أخاف أن يعلم أعدائنا المصيبة، حينها ستقع علىٰ رؤوسنا غارات العدو ولن يجد الشباب حينها بُداً من الفرار، يحارب المرء من أجل الأرض والعرض أما إن أرض الله واسعة ولا عرض بها فالهروب حينها هو المأمن.
- أنتِ مُحقة، لم افكر في هذا الاحتمال.

تملكتهم تلك الشهوة اللعينة حتىٰ صاروا يغتصبون ما تبقىٰ من السيدات العجائز، اللاتي لم يتبقىٰ منهن سوىٰ القليل، لا يُسمنَّ ولا يغنين من جوع، توقف الرجال عن العمل، لا طموح لديهم طالما يجدون السمك والخبز، صارت الأرض جرداء صفراء فاقع لونها تصيب الناظر لها بالعمىٰ، أشجار النخيل كادت أن تقع، لا تجد من يعتني بها، كلها أصبحت ذكوراً فالإناث من النخيل قد اقتلعته عاصفة غاضبة.

انتشر في «ح» الشذوذ والمجون أصاب ساكنيها الجنون، الشمس كادت أن تدنو من الرؤوس، حرارة النهار كادت أن تطهو لنا الطعام بيد أنه لا طعام في القدور، الماء والملح، واليابس من خبز قديم مخزن معتق، كذلك الشراب الذي كنا نشربه في أزمنة بالية، من بعدك يا «حميدتي» لم يعد لدي سكن؛ فأنت الوطن وبدونكِ المنفىٰ، أخط لك الكلمات بدموع اختلطت والحبر، آه يا «حميدة» أتتذكرين؟! حينما كانت «ح» مدينة الحب، لا يتزوج الشاب إلا إذا مسته سهام الهوىٰ، كنا نظن أنها نعمة كبيرة نمتاز بها عن غيرنا من البلاد البعيدة التي نسمع عنها من التجار الرحل، لم نكن نعلم أنها لعنة أصابت قلاعنا السبع وأسوارنا العالية، المحاطة ببحار زرقاء وجبال خضراء تنعم بها أنعامنا ترعىٰ فتسمن، الآن لم يعد لدينا سوىٰ الحمير.

لم نكن نعلم أن «ح» ستصاب بالحرارة وأن أهل مدينتنا جميعًا تبدأ أسمائهم بحرف «ح» أليست لعنة؟!

ألا تتذكرين حينما اجتمع الجمع الغفير من أهل المدينة يوم عيد النصر؟ ألم يرفع مولانا «الشيخ حامد» أكُّف الضراعة حتىٰ يرزقنا البنين؟ أتتذكرين يا

«حميدة» آخر فتاة ولدت؟ لم أعد أتذكر، هل أصابني الخرف والكبر أم أنه منذ عهد بعيد؟! لا أدري لم كره أهل المدينة الإناث؟! أتتذكرين أعداد الفتيات العانسات اللاتي كن يملأن البيوت؟ لا تتزوج إحداهن إلا إذا وقعت في الحب، ألم يعلم الجمع أنهن نعمة يرزقنا الله برزقهن؟

الآن وقد صار الجمع الغفير من أهل المدينة ذكوراً لا يجدون زوجات، ألم ينتشر الجنون والمجون؟! لا طاقة لي علىٰ تحمل اليأس والقنوط، ولا يمكنني الصمت ولا الحديث ولا الهجرة لبلد بعيد.

لم أعد قادراً علىٰ ركوب البحر، يستوطن الجزر القريبة جمع من الأنجاس، أصبحوا قراصنة يقتلون وينهبون السفن، لا يريدون المال بل فقط النساء، البحارة من البلاد البعيدة صاروا لا يحملون النساء معهم بل وحتىٰ الأطفال، صار وجود امرأة علىٰ السفينة فأل شؤم.

«ح» حبيبتي كيف أصبحت مدينة السحر والحسد! أتتذكرين حينما أهدىٰ أهل المدينة للسحرة ما كانوا يكنزون، لدفاعهم المستميت عنا، حرب «القمم» كانت بداية الهلاك، الخوف من الحرب جعلنا نلجأ إلىٰ السحر، كنت حينها شاباً حينما انضممت لكتائب الحساد، كنا إذا نظرنا بأعيننا للنخل احترق، حاربنا بأعيننا وحقدنا جيوشاً لا تقهر، نظراتنا سهام تشتعل تخترق تحرق قلوب الأعداء، فرحنا بانتصارات وهمية، السحر جعلنا لا نقهر ولكننا في أعماقنا نعلم أننا محض جبناء، يملأ قلوبنا الخواء، الحسد ملأ حياتنا فصارت المعارك فيما بيننا، يحسبنا الأعداء جميعاً وقلوبنا شتَّىٰ،



صرنا عبيداً للشيطان، أجبرنا السحرة علىٰ طقوس القرآن؛ نذبح كلما أقمنا الطقوس فتاة رضيعة، يتغذىٰ اللعين علىٰ الدماء.

كنا كرجال قليلون، كم رجونا المزيد من الولدان، حينها سنكون أولي بأس شديد، أجبرنا الشيخ «حامد» مستجاب الدعاء أن يدعو لنا، بنعمة البنين، حتىٰ لم يولد لنا إناثاً خمسون عاماً متتالية، الآن نحن بدون النساء سنهلك عما قريب، سيباد أهل «ح» عن بكرة أبيهم حتىٰ نصبح ذكرىٰ كأهل عاد.

اجتمع الصالحون منا يا «حميدة» فلا تقلقي، رفعوا أكف الضراعة بعدما أقاموا صلاة الاستغاثة، قالوا بصوت واحد وقلوب يملأها الخوف والطمع

«أتهلكنا بما فعل السفهاء منا!»

«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»

اطمأن الصالحون لقرارٍ حكيم، سيهاجر أهل «ح» جميعاً يتيهون في أرض الله ولن يذكر أيا منهم اللعنة، تعرضنا مؤخراً لغارات مدفعية الأعداء هرب الكثير من أهل المدينة وركبوا البحار، ولكنني لن أتركك يا «حميدتي» حتىٰ أموت بجوارك، سأدعو لك آناء الليل وأطراف النهار، سأستغفر لي ولك لعل اللقاء يكون قريباً في جنان الخُلد أو نار الجحيم، فالقضاء له وحده.

مصطفى فاروق

مصر.





نسيان

يكتب عبد الرزاق في مذكرته الإلكترونية بسرعة باستخدام أصبعه، الأمر مرعب بعد انتشار ظاهرة مسح الذاكرة غير المرغوبة، البداية حصرت للمرضىٰ النفسيين من جنود خاضوا الحروب أو من تعرضوا لصدمات نفسية، للأسف اليوم وضع جنوني يجب الحد منه، الناس نسيت أولادها وحتىٰ يوم زواجها، صادفت في الأيام الماضية أناس لا يعرفون أهلهم، أو من أنا رغم تأكدي أني أعرفهم وهم يعرفوني!

البارحة علىٰ الانترنت تشاجرت مذيعة تقدم البرامج مع مطربة يمكن وصف غنائها بالنشاز الملوث للسمع، لتعلن المطربة لمعجبيها أنها ستمسح المقابلة من ذهننا بكبسة زر لجهاز روجت له ذات المطربة، والسبب برأيها أنها لم تعجب برأي المذيعة، عند الحديث عن حبيبها السابق.

«كلهم سطحيين» يكتبها عبد الرزاق بخط كبير ويعدل النمط للخط وحجمه، ثم يبدأ سطر جديد «لـمَ لم تمحىٰ ذاكرتها عن حبيبها؟ كانت ستسلم من حديث المذيعة بعبارة لا أذكره، أغبياء علماً يستخدمون أرقىٰ أنواع التكنولوجيا، بصفتي مدير لشركة تبيع هذا المنتج فأعتقد أن مضاره أكثر من الفوائد ويجب منعه، هناك ملاحظات لا يدركها العوام عند الاستخدام، مثل أمسح ذكريات الحرب من عام ٢٠١١ إلىٰ عام ٢٠٢٠



وأنت تمسح الذكريات بذات الفترة للحرب مثل ولادة أطفالك وزواجك وحتىٰ انتقالك لبيت جديد واستلام عمل وربح جائزة اليانصيب، ستجلس مبتسم عندما يتحدثون أمامك عنها، لكنك حقيقة تائه لا تتعامل مع ابنك علىٰ أنه ابنك وتنسىٰ زوجتك، هو جهاز مدمر للمجتمعات.

في سطرٍ جديد...

«ربما يجب عليّ التوقف عن بيع هذا الجهاز، لكن لم كل هذه الرغبة في النسيان، أخاف أن أكون جربته ونسيت متىٰ حدث ذلك، أخاف من هذا الانتشار الكبير في المجتمع أن يصبحوا كالحمقىٰ، فكل منهم ينسىٰ دروسه وواجباته يتناساها يهرب منها بطريقة جديدة، ثم بتوتر شديد يحذف ما كتبه في المذكرة الالكترونية، يضع الجهاز جانباً ويستند للمقعد يتذكر زوجته المتوفاة والدموع في عينيه»

كندة شعبان برهوم

سوريا.





الهجينة

مُكبلة في منزلٍ غريب، يكاد يكون معزول عن العالم، غرفة حوائطها متهالكة، لا أعلم من يفعل بي هذا! ولكنهم يمنعونني عن شيء، حتىٰ أنا لا أعلم ما هو! لمَ يؤذونني إلىٰ الآن، فقط يدخل شخص مقنع يرتدي الأسود من رأسه حتىٰ اخمص قدميه، ليعطيني طعام ويرتب لي ملابسي وفراشي وبعض الأشياء في الغرفة ويخرج.

لا أعرف ماذا يمكنني أن أفعل، ولكني اليوم سأحاول الهرب مهما حدث... سأحاول.

طرق الباب عده طرقات، ثم دخل المقنع، نعم أسميته هكذا فصوته حتىٰ الآن لم أسمعه! وضع لي الطعام وأتىٰ ليفك وثاقي لآكل... نعم إنها فرصتي الآن لأهرب... فقط سأحاول الآن.

تركته ليفك وثاقي، وأنا أحاول جاهدة أن أعرف لمَ أنا هنا وأسأله كعادتي كل يوم منذ اسبوعين مضوا، ولكنة حقـًا يفضل الصمت، علىٰ أي حال سأذهب الآن ولن يمنعني أحد.

نظرت إلىٰ المائدة... إلىٰ أن تراءت لي المائدة التي أمامي فكأني أراها من بعيد.



يوضع فوقها صحناً من الفضة وعليه غدائي، واااه... أنه طعامي المفضل! كيف عرف ما أفضله ويأتي لي به كل يوم، هل هو شخص يعرفني فعلاً؟!

شردت قليلاً، حتىٰ وجدت من يضع يده علىٰ رأسي وشبح ابتسامة صغيرة تحت قناعة، أقسم أنها لولا القناع أمامي لكنت مت رعباً من تلك الابتسامة! نظرت له ثم قلت:

- ماذا تريد!

لينظر بعينيه إلىٰ الطاولة، لأتجول بعينيّ في معالم هذا الشخص ثم فقط إلىٰ الطاولة، لأقلب عيناي عليه وأردف قائلة:

- حسناً سوف آكل طعامي الآن. وأفكر بعدها بالهرب من هذا الأحمق أمامي. أنا لن أهدر هذا اليوم أبداً دون محاولة.

جلس أمامي ولم يفعل إلا النظر لي.

مهلاً لحظة... ولم أره حزيناً هكذا، ولم رؤيته هكذا يجعلني أتألم، فقط لو أعلم من أنت!

هه! ماذا بي وهل يهمني الآن! سوف أذهب من هنا ولن أراه مرة أخرىٰ ولا هو ولا طعامه اللذيذ جداً، أنهيت طعامي لأستقيم أمامه وانظر له، أقول سأشتاق حقاً لهذا الطعام لأضرب الطاولة بقدمي لتنقسم إلىٰ نصفين، وأضربه بالنصف المتهشم أكثر لأضحك بداخلي، فـ نعم... نعم، إنها إحدىٰ تقنياتي المفضلة، وأهرول سريعاً إلىٰ باب الغرفة، ومنه إلىٰ المنزل الذي توضحت لي رؤيته الآن.

حقـًا أكنت كل هذا الوقت في منزلي! وتلك الغرفة أهي قبـو أم مـاذا، لا يهـم سأهرب الآن، ومن بعدها سأرىٰ من وراء كل هذا، وحقـًا سأنتقم منه أشـد انتقام، لتتعثر قدماي وأسقط علىٰ وجهي، لأنـزف بشـدة وألعـن حظـي ليـأتي المقنع،

ليردف قائلاً:

- همس! أيتها الـ... هل تنوين الهرب حقـًا الآن، ومـا الـذي سـوف تستخدمينه من تقنياتك الآن؟

لأنظر له مطولاً، أنا أعرف هذا الصوت! أنا أعرفه.

لأحمحم قليلاً وأخبره:

- من أنت ولـم تـتكلم الآن، لقـد كنـت صـامت حتىٰ أحسسـت أنـك أبكم، ولم صوتك ليس بغريب عني هه؟!

يحاول الاقتراب لأحذره:

- لا تقترب! حقـًا إذا اقتربت لن تشهد ما يرضيك إبداً، فأنت لا تعلم مع من أوقعت نفسك.

ليتحدث المقنع... وهو يسحب القناع من وجهه قائلاً:

- ماذا؟ سوف تستخدمي تقنياتي الآن للهجوم عليّ!
- لقد صدمت حقـًا الآن! هل كل هذا كان أنت نيكولاي!

يخرج صوتي مختنقـًا حقـًا لأسأله:



- لماذا! لماذا تفعل هذا بي؟

نظر لي بعيون مليئة بالحزن يتأسف، ويخبرني لم يكن أمامنا غير هذا الحل:

- أنتِ تعرفين أن قوتك مختومة، وسوف يحل الختم عندما تكملي عامك الثامن عشر.

لأقف من علىٰ الأرض سريعـًا، لأنظر له بحقد شديد، وأصرخ قائله:

- إن هذا ما انتظرناه طوال حياتي، وكان من المفترض تدريبيّ حتىٰ أتلقىٰ القوة بشكل صحيح عند فك الختم، أنت فقط تجعلني حبيسة بدل تدريبي! أنا هنا منذ فترة، ولا أعلم حتىٰ أني كل تلك الفترة كنت في منزلي!
- اهدأي... فقط اهدأي واجلسي، سوف أروي لكِ كل شيء، أعدك بهذا ولكن فقط دعينا نعود إلىٰ الغرفة، قبل أن يحل الظلام.

لأردف قائلة:

- حقـًا إن لم تخبرني ما يحدث الآن سأقتلك ولن يهمني أنك أخي أو حتىٰ مدربي (نيكولاي)

لأشعر فجأة بدوار قوي، وشيء من القوة بداخلي جعلني أصرخ من الألم، كان وكأن شخصـًا سيقتلع قلبي من مكانه، ليطلق نيكولاي حاجز قوة حولنا ويرفعني سريعـًا علىٰ ظهره، ليدخل بي إلىٰ تلك الغرفة الغريبة مرة أخرىٰ.

هدأت همس قليلاً بعد الدخول إلىٰ هناك، لأرخي دفاعي وأترك الحاجز الذي فعلته لحمايتنا من تلك القوة العدائية الشريرة لن تلحق بنا علىٰ أي حال.

كانت تئن من الألم أمامي، لأضع يدي علىٰ رأسها، وأخرج بعض سحري ليجعلها ترتاح قليلاً، لتذهب همس في قيلولة قصيرة بعدها، أضعها في السرير أمامي وأنظر لها بحسرة وأخرج.

أستفيق وأنا أشعر بالوهن في جميع أجزاء جسدي ولكني أقاوم، لأصرخ قائلة:

- نيكوووولااىٰ!

سمعت صوت همس عاليًا، وكأنها تصرخ، لأذهب إليها سريعًا قائلاً:

- ماذا! هل تتألمي، هل هناك شيء، ماذا حدث لكِ!
- أنا بخير ولكنك تدين لي بمعرفة ما كل هذا الذي يحدث لي والآن.
- حسنًا سأخبرك بالحقيقة كاملة، ولكن بشرط ألا تقاطعيني أبداً فلتستمعي أولاً.

أومأت لي فقط.

- أنتِ هجين همس، نوع من السحرة و الشياطين وتلك القوة التي ورثتها، كادت إن تقتلك بضع مرات، وحقًا إن تملكت منك الآن ستموتين لا محالة! فأنتِ الحفيدة الأولىٰ والوحيدة لملك

الشياطين والجحيم بذاته، ورثتي قوته، وإن لم تختم من قبل ساحر عظيم، كنتِ قد لقيتي حتفك منذ يوم ولادتك، لقد ختمت والدتك قوتك؛ فهي كانت ملكة السحرة، وأعظمهم وأكثرهم طاقة، ولكن حتىٰ طاقتها لم تستوعب قواكِ، فمن أجل ختم قوتك استهلكت كل طاقتها علىٰ الحياة، فماتت وأودعتك لأبي، لقد كان مساعدها الأوفىٰ لقد تربيا معًا منذ الصغر، وأنا أكون ابن ذلك المساعد، وقد تدربت طوال حياتي فقط من أجل أن أساعدك في تدريبك وأحميك، و بكل سنة و في شهر ميلادك، نأخذك إلىٰ هذه الغرفة، هنا كانت بداية طقوس ختم قوتك الشيطانية، ويجدد الختم كل عام من تلقاء نفسه، هذا المكان به روح سيدتي لذلك قادر علىٰ فعل هذا، ما إن شعرت أنها تستهلك حياتها، قد أمرت روحها أن تحرس هذا المكان، لتجدد عمل الختم إن لم تكن موجودة، وهذا ما حدث، فأهلك سيدتي (فيرونا) والدتك وأدىٰ بها إلىٰ هذا الطريق، كنا بكل عام فقط نمارس عليك سحر النسيان، فتفقدين ذلك الشهر من ذاكرتك، أنتِ فقط تكوني في فترة نوم طويلة يسميها البشر بالغيبوبة، وهذا المكان الوحيد الذي يخفي طاقتك عن الشياطين، ولا يقدرون علىٰ اللحاق به، فبكل عام يحاولون أخذك إليهم والآن حتىٰ تعاويذ أكبر السحرة لدينا تبطل، مجرد بضع ساعات نوم منك، لتستفيقي وتدركي كل شيء، فأصبحت تتذكرين ما يحدث وتحاولين اخفائه، قوتك أصبحت الآن أكبر من أن يعمل عليها السحر، فأنت بالأخير ابنة (فيرونا)

أكبر مستخدمة سحر حصل عليها عالمنا، وابنة (مالك) شيطان الجحيم المتوحش ذو القوىٰ التي يهتز لأجلها العالم السفلي كله، لن يعمل عليك سحر أي شخص بعد الآن، فقد بدأت تعويذة الختم بالاختفاء عنك، ستكتمل قواك في الـ ٢١ من عمرك ويجب علينا، حمايتك من هذه القوة حتىٰ هذا الوقت فقط، فحينها سوف يستوعب جسدك تلك الطاقة ولن تأذيكِ، حتىٰ أنك ستتعلمين كيف تستخدمين قواك كاملة في تمام يوم ميلادك الواحد وعشرون.

انتهيت من حديثي لأراها علىٰ وشك البكاء، جالسة تضم رجليها إلىٰ صدرها وتنظر لي فقط.

ظللت صامتة طوال حديثه، وكأنني غير موجودة، أستمع له وقلبي ينبض سريعـًا، يريد الخروج والتكلم، أنه لا يصدق كل هذا الهراء، لقد دمر عالمي الآن حقـًا، فأنا أصبحت يتيمة، توفيت والدتي لحمايتي، من شيء لا أعلم ما هو حقـًا، وأبي ليس أبي وأخي لم يكن أخي أبداً، كل ما أملك في عالمي إنهار أمامي الآن، والقوىٰ التي كنت أحاول جاهدة أن أستخرجها، وكنت ألعن نفسي ألف مرة لأني ضعيفة، لا أقدر علىٰ مواجهة بشري خائر القوىٰ حتىٰ.

والآن إن خرجت قوتي ستدمرني وتدمر العالم حقـًا، ما الذي يحدث لي!

رأيتها غير موجودة، فكنت أنظر لها بقلق، أناديها ولا ترد فقط شردت بعيداً، لأحاول استرجاعها بأخبارها المزيد، أعلم ستستجيب الآن.



أفقت من شرودي علىٰ صوته ليخبرني قائلاً:

- ما حدث في الخارج كان محاولة من جسدك لطرد قواك، وتلك القوىٰ العدائية كانت شياطين تحاول الاستيلاء عليك، ولهذا قمت بحمايتك بواسطة سحري، وفعلت الحاجز الخاص بي، والآن لقد علمت بكل شيء، هل لديك أي أسئلة؟!

نظر لي نظرة لم أفهمها حتىٰ وهو يطرح هذا السؤال، لأقول بصوت مختنق فأنا حقـًا كنت علىٰ وشك البكاء الآن:

- فقط سؤالين، سوف أطرحهما وعليك بالإجابة فقط والخروج من هنا.

أومأ لي دلالة علىٰ موافقته.

لأسأله:

- أين هو أبي!

ليرد نيكولاي سريعـًا وكأنه توقع سؤالي:

- لقد توفىٰ في نفس توقيت وفاة والدتك، فهو قد ربط روحه بروحها، حتىٰ لا يحاول أن يقتلها (فيجاي) ملك الجحيم، فهما لا يستطيعوا قتل أبنائهم أبداً.

أومأت برأسي لأسال السؤال التالي فوراً:

- هل سأظل حبيسة هذا البيت!



ليرد بـ لا، فقط إلىٰ أن تكملي الـ ٢١ عام، وقتها ستكونين ملكة علىٰ عالمين، عالم الجحيم أو العالم السفلي الخاص بالشياطين وعالمنا عالم السحرة.

نظرت له مطولاً قائلة:

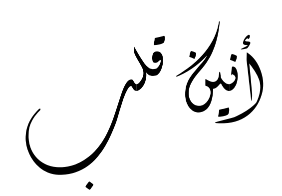
- شكراً علىٰ صدقك، والآن أخرج فأنا أريد أن أرتاح، فما زال أمامي ٣ سنوات لأتدرب أكثر إلىٰ أن أستطيع الفرار من هذا المكان، وأقلب عالمين رأساً علىٰ عقب علىٰ ما فعلوه بي.



مصر.

❊ ❊ ❊





في طريق هادئ على جانبيهِ أشجار وارفة الظلال، كانت تمشي حالمة بين الهواء العليل وشدو الطيور، على حين غفلة أوصلها طريقها إلى قلب بُحيرة مما أصابها بـ قشعريرة و شحُب وجهها و انعكس ذلك على ملامحها الرقيقة، هرعت بفزع وريبة فكأنه كمين قد أُعِد لها!

احتبست أنفاسها ثُمَّ لم تلبث حتى هاجمها ثُعبان فائق الحجم و الطول، بدت أنيابهُ كـ مخالب لامعة من شدة حدتها، تمتمت ببعض آيات القرآن لتهدأ ثُمَّ لاذت بخوفها كله إلى الله.

تمكن منها و استحكم بأنيابه بأصبع يدها باستماته، للحظة فكرت في الاستسلام لسحب روحها ثم استجمعت كل قوتها و أمسكت رأسه و ظلّت تحاول نزعه من يدها و بيدها الأخرى اقتلعته بأعجوبة من يدها وألقت به قدر ما استطاعت من بُعد.

هذا أصبعها وقد ثقبته أنياب الثعبان و الدماء تنساب منه بلونٍ أسود بما امتلأ من سموم وكأنما سيل الدماء لإتمام إخراجها لإنقاذ حياتها، رفعت رأسها، فلمحت قارب ينتظرها بالقرب، ركضت مُسرعة حتى وصلت له ثُمَّ صعدت إليه مع تسارع دقات قلبها، وهنا سمعت النداء، آذان الفجر ففتحت عينيها فزِعة وهي تُصارع ضجيج نبضاتها، وفي غُرفة نومها تفقدت جسدها



وحمدت الله أنه كان حلم بل كابوس، واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم، قامت فتوضأت وأتمت صلاتها و كعادتها مارست أعمالها المنزلية في بكور يومها.

جهزت أولادها وودعتهم لمدارسهم، ثم أيقظت زوجها وأثناء فطورهما قصّت عليه رؤياها، فقام بطمأنتها، وذهب إلىٰ عمله وتابعت أعمالها اليومية.

ذات يومٍ... وهي تقوم بأعمالها وجدت ورقة بين يديها زلزلت حياتها وقلبتها علىٰ عقب وانهارت الدنيا الجميلة علىٰ رأسها بـ ورقة بها بضعة سطور من الكلمات... كانت بثقل كل جبال العالم عليها، دليل خيانة وغدر زوجها، رغم ما يُزيفهُ لها من أساطير الحب والغرام ليلاً ونهاراً! كانت تُنسج العشق في خيالها وامتلأت به أجواءها و صدقته عبر السنين الطوال.

قصة بقيت وكُللت برباطهما وأولادهما وصارا مثلاً لحكايا العشق والوفاء، اعتبرته أهم إنجازاً لها في الحياة ثُمّ ها هو الآن كان سراب، عاشت معه حياة الأحلام ربيعاً دائماً وسنابل قمح ملأت سنواتها خيراً رغيدًا غير محدود، وها هي الآن تكتشف أنه كان صرحاً من خيالٍ فهوىٰ، نظرت لهاتِه الكلمات كلما قرأتها لم تُصدق بل لم ترد أن تصدق، صارت نحو زوجها بغرفته، كلما اقتربت منه خطوة تتثاقل التالية تجر أذيال صدمتها لكنها ما زالت تُكذِب عينيها، حتىٰ بلغتُه، هدأت وسألته بابتسامة البلهاء تماماً:

- قل لي أن هذا كذب!

نظر إليها ولم ينطق! ثمّ بمنتهىٰ العجرفة قال:



- بل نعم... لمَ الاستغراب أنتِ السبب!

قالت:

- لا ليس صحيحـاً أنت تمزح أو رُبما...

ثم فقط سكتت!

كانت تحيا معه كالعمياء، لا ترىٰ غير ما يُريد لها أن تراه، أكان كل عالمها بسنوات عمرها وحياتها زيّف! كاد عقلها أن يُجن من مرارة هذا السؤال وإجاباته المحتملة، كان هو ذاك الثعبان الذي استحكم سيطرته عليها غارساً أنيابه في إصبعها! بل في حياتها في منتصف روحها بالضبط... هذا قتل مع سبق الإصرار والتلفيق.

لم تدري بنفسها إلا وهي تفتح عينيها وتلك المرة كانت علىٰ سرير بتلك المشفىٰ البعيدة جداً عن منزلها، والطبيب يطمئن أولادها علىٰ قلبها...

لكنها أبداً ليست بخير، قد أحاط دمار شامل بشغاف قلبها المسكين.

منذ تلك اللحظة تبدلت أحوالها، وانهدم أمانها، كانت كالذبيح الذي تأبىٰ الروح أن تفارقه معلقـاً يتأرجح علىٰ حافة الموت، لا إلىٰ الموت ينتهي ولا إلىٰ الحياة يعود.

هو... هرب ولم يعد ولم يعلم عنها ولا عن أولادها أي شيء... اختفىٰ غير آبهـاً بالأمر.

إنها لمأساة أن تتبدل القلوب من جنون الحب إلىٰ يسار الهجر و البُعد، من بعد تضافُر الروحين والقلبين علىٰ هيئة واحدة وانسجام في روح وقلب واحداً إلىٰ كل اللامبالاة والغدر!

بقيت في سراديب عقلها أفكاراً تائهة تذهب وتعود، ترفض الواقع بكل ما لها من قلة حيلة و تُنكر كل ما حدث، ولذا فهي... غرقت في عُمق الصمت تنتحب قهراً وألمـًا دون صوت، كاتمة لجبال من الأوجاع والانكسار في الروح، وحتىٰ هي نفسها لم تُحصي ولم تعرف كم استغرقت في هذا الظلام الحالك من وقت! كل الأمر أنها تمنت وقت ما لو أن يتم تخديرها ولو لعام حتىٰ لا تسمع صوت أنين قلبها الذي ذُبح ذبحـًا بلا شفقة، ذبحٍ غير رحيم ودون أن يشفع له ذاك الحب العظيم ولا الميثاق الغليظ ولا رفقة العمر ولا صبر السنين.

كُل ذلك طُوِي وأُلقي به معها في غيابات الجحيم، هو... ما زال لم يظهر بعد! في الغالب إنه فعلاً هرب...

الأولاد تائهين في منتصف اللاشيء، فجأة إنهار البيت وانهدمت حياتهم وبلا سبب! ولكن علىٰ كل حال كانوا هم السبب الوحيد في إعادتها مُجبرة علىٰ قيد الحياة، فكان عليها أن تنتبه لحياتهم التي توقفت عند حياتها ولا مأوىٰ لهم غيرها... نعم لابد أن تستيقظ من هذه الغفوة الطويلة وتستفيق وتُنقذ حصاد عمرها الذي كاد أن ينهدم ويُطحن دهسـًا في الأرض، بعدما انكشف غطاءهم و انهدم جدارهم الذي حسبوه سنداً لهم.

احتضنت أطفالها جسداً كانت بلا روح و رغم نزف جرحها، آوت بهم إلىٰ بيتها؛ لتُرمم قدر استطاعتها ما انكسر...

أيامها الثقال تلك وكأنها سنوات عجاف عليها أن تعبُرُها مجبرة علىٰ النفس إلا أن تكون علىٰ قدر تلك المسألة.



أولادها... متأثرين نفسياً و متأذين لدرجة تفوق التحمل، تضرروا بحمولة زائدة.

تم بتر أهم عضو في بنيان هويتهم فجأة ودون أي ذنب!

ما من سبب يجعل أب يتخلىٰ ويهزم أولاده بنفسه في معترك خاسر كُل من يسلكُه لأجل نفسه ومتطوعاً قام بخنق الحياة فيهم بكلتا اليدين.

أن يكون هو نقطة ضعفهم وغُصَّة في حلوقهم باقية دهراً لن يمحوها شيئاً.

هي... قامت بدورها في التجديف بقارب الحياة بأولادها، محاولة الوصول لبر النجاة، الحِمل ثقيل نعم، ولكنَّها معركة مصير ولا خيار أمامها غير النجاة والوصول للأمان مهما كان الثمن، أو الاختفاء في الضباب جميعاً وهذا ما لا يُحمد عُقباه، والآن... علِمت تمام العلم أنها تلك الرؤية في تلك الليلة، كانت رؤية صادقة وهنا تأويلها وها هو القارب الذي كان ينتظرها، نعم إنه قارب الحياة وعليكِ العبور من هذا المنعطف الصعب بهؤلاء الـ خُضر الغُصن.

بدأت معالجة بعض ما دُمِرَ في نفوسهم من تلف وتضرر بالغ في أرواحهم البريئة، بدأت تستعيد حياتها واختارت عدم الالتفات ولا حتىٰ إبداء أي رد فعل.

بدأت تستكمل حياتها وكأن شيئاً لم يكن، استطاعت كتمان أمرها أمام أولادها، أما حينما تختلي بنفسها ليلاً كانت تُحدث نفسها! العقل كاد أن يُشَتت ويذهب، ثُم تتنهد وتعود لتمارس مع أولادها



كـل أسـاليب التجـاوز والتخطـي ولـو بالكـذب! تُحـدثهم عـن اللامبـالاة بما حدث.

مر ما مر من الزمن وتفوق أولادها والجميع مشرأب إليها بنظره إعجاب، فهي من الخارج رائعة قوية لم تُهزم من أكبر خيبة قد تتعرض لها امرأة، أما من الداخل تحمل قلبـاً مهترئـاً ونفسـاً هشة وروح مُنهدمة ومتأذية.

حتىٰ ذات يوم علىٰ حين فجأة الغائب قد رجع، لكنَّه هـذه المرة كـان باهـت الحضور كأنه شفاف غير مرئي، يتساءل بكل برود أين مكاني أين مكانتي؟

- حبيبتي... أعتذر!

زوجها الهارب بعد عودته هكذا يقول!

صمتت واستجمعت قوتها وأنفاسها:

- قل لي علىٰ أي شيء تحديداً تعتذر؟

رمقتهُ بنظره مِلؤُها الألـم، تحجرت في مُقلتيها كُل الأدمع مع الوجع ثم ردعتهُ بنظرة أُخرىٰ من الجمود واستعادت كـل المنـدوب، تحسستها جيداً لتتيقن من صواب قرارها، ساد الصمت بينهما بينما استرجعت كل ما حدث في عقلها، فقد تمت أرشفته بمنتهىٰ الدقة والترتيب:

- يا سيدي قد قمت بقتل نفسك عمداً بداخلي شنقـاً وموتـاً مفاجئـاً، ثُمَّ هروبك بعدها كان تسهيلاً للأمر منك عليّ و قد فـات أوان كـل شيء، عن ماذا جئت تعتذر؟ عن قتلي وسلخي كالشـاه، لا بـل لقـد قمت بالسلخ قبل القتل عمداً! تخيل لقد قمت بانتزاع الحيـاة ببطء

منّي عنوة وبلا رحمة، انتزعت أنفاسي واحدة بواحدة بمنتهىٰ القسوة، كأنك ابتكرت لونـًا هو الأكثر من ألوان التعذيب وجعـًا هذا بعدما كان الاطمئنان عندي كله قسراً عليك! تركتني أترنح في عز البرودة علىٰ شفير الموت، تمنيت الموت وقتها صدقني، كان الموت أهون بكثير عليّ فلو طعنتني بنصل حاد مرة واحدة وأرسلتني للموت لكنت سامحتك ربما... لكن ما حدث كان جحيمـًا علىٰ قيد الحياة وفيه أغرقتني بأولادي وهربت! و لولا تلك الأرواح والأذرع الرقيقة التي وجدتها تتعلق بروحي التي غدت رماد بعد تفحمها قهراً ولو سقطت لسقط الجميع في غياهب التيه والضياع.

كان حديثها له كل هذا في عقلها، والحقيقة أنها أبت وضنّت عليه حتىٰ ببوح تلك الأحاديث والكلمات التي رتلتها في عقلها بصمت؛ فلا عتاب لمثله عندها، فقط شاحت بعينيها بعيداً عنه ونطقت:

- اذهب حيثما كنت وفضلاً لا تعود، أنت بالنسبة لي مت منتحر... لم يعد لك بداخلي أي ذكرىٰ ولا أي أثر.

ثم عاد الحديث لعقلها واستكملت كأنما هي تُراجع أحداثها في ذات الصمت:

- لقد كفرت علىٰ يديك بالحب، لا حب كُله كذب، أنت بالنسبة لي ذاك الثعبان الذي أرعبني وغرس أنيابه فيّ وبث كل سمومه في دمي ثمّ رميته إلىٰ أبعد ما استطعت من الرمي، ولن أحيا برفقة ثعبان أبداً



بعدما كشفهُ الله لي فيما يُشبه المُعجزة، فلك مني كل الامتنان أن كشفتِ لي كل ما تمسكت به من زيَّف، فراقنا قدر وحق، اذهب لمن يشبهك ومن هدمت عالمـاً بأكمله لأجل هواك وطريقك الذي اخترت و أمَّا عنِّي فـ لله أمري من قبل ومن بعد.

التفتت عنهُ وفارقت المكان تماماً غير مُعتبرة لوجوده، أجمع عليها شافعين من أهله زُمرة، ومن أهلها أخرىٰ، فصرخت في الجميع رافعة يدها مُعلنة انتهاء الأمر:

- يا من جئتم إليّ له شافعين تنشدون عودتي إليه، اذهبوا جميعكم إلىٰ الجحيم، ذات الجحيم الذي ألقاني في قاعه وأنا بين الحياة والموت وهرب، اذهبوا وإن عدتم تطلبون له الكيل مما كان له بين أضلعي من حُب فلا كيل له عندي، ولا لن أعود أبد الدهر...



مصر.

❊ ❊ ❊



غربة

- اُنظرَنَ، جاءت صَاحبةُ الوجهِ القَبيحِ.
- يَا لِوجهِهَا! يُشبِهُ القطَّ الأرقطَ.

قهقهاتٌ عاليةٌ، يَصحبُهَا غَمْزٌ ولَمْزٌ لا ينتهيانِ.

مِن بعيدٍ أراهُنَّ، يُشِرنَ إليَّ، تَختَرِقُ كلماتُهُنَّ قلبِي، فَأُنَكِّسُ رأسِي، لِأُخفِي وجهي عن أعيُنِهِنَّ، أَستحثُّ الخُطَىٰ نحوَ السُّوقِ، تطنُّ في أُذنِي كلماتُ جدَّتِي كنحلةٍ تُهاجِمُنِي:

- تشترِين الخُضار، وترجعين فِي غَمضةِ عين، أسمعتِ؟

تُزغردُ عصاهَا الغليظةُ علَىٰ جسدِي عِندَمَا أُخالِفُ أوامِرَهَا، أُهروِلُ فِي مَلابسِي الطويلةِ الواسعةِ، أكادُ أسقطُ أثناءَ عبورِ الشَّارعِ المُزدَحمِ، تقولُ جدَّتِي إنَّني كَبرتُ، لِذا تُلْزِمُنِي بِارتداءِ ثِياب أُمِّي بعدَ أن عاثَ المِقَصُّ فسادًا فِي أطرافِها، اختفت رائحةُ أُمِّي مِن ملابسِهَا، لكنَّها لا تزالُ عالقةً بِقلبِي.

- استعمالُ ملابسِ المَوتَىٰ فألُ خيرٍ يا ريحانةُ.
- حقا يا جدَّتي؟
- طبعًا، سأجعلُ جميعَ ثِيابِها تُناسِبُكِ.

يئِنُّ الحِذاءُ فِي قَدميَّ، تُطِلُّ أصابعي مِن ثُقوبِهِ خَجِلَةً، يومَ أن طَلبتُ مِن جدَّتي شِراءَ آخَرَ جديدٍ، قالت إنَّ السُّفهاءَ فقط هُم مَن يُهدِرُونَ المالَ علَىٰ أحذيَتِهِم، ليتَها تستطيعُ أن تجعلَ أحذيةَ أُمِّي تُناسِبُنِي!

في الطَّريقِ... أُشاهِدُ بعضَ الأَولادِ يتقاذفونَ الكُرَةَ، تتعالَىٰ صيحاتُهُم العذبةُ، توقَّفَوا عن اللَّعِبِ عندما لاحظُوا مُتابَعتِي لهم، تبدَّلت صيحاتُهُم قهقهاتٍ ساخرةً، انتبهتُ لِلحقيبةِ فِي يدِي، تخيَّلتُ وجهَ جدَّتِي وهي تُحذِّرُنِي مِن التأخُّرِ، عادَ طنينُ صوتِهَا يقْرَعُ أُذُنِي، استدرتُ فوقَ الطوار أُكمِلُ طريقِي نحوَ السُّوقِ، لكنَّ شيئًا ثقيلًا سقَطَ فوقَ رأسِي، طرَحَنِي أرضًا، فَتَحتُ عينيَّ لِأَجِدَ الأولادَ يَتَحَلَّقُونَ حَولِي، يُصفِّقُونَ، ثُمَّ يُكبِّرونَ كَقَصَّابٍ يتأهَّبُ لإهراقِ دمِ ذبيحتِهِ! صرختُ فِي فزعٍ وأنا أزحفُ علَىٰ يديَّ، فَتَفرَّقُوا وهُم يهتفونَ:

- الخروفُ الأرقطُ سَقطَ فِي المَصيدةِ، الخروفُ الأَرقطُ سقَطَ فِي المصيدةِ.

فِي مِرآةِ سيارة علَىٰ جانبِ الطَّريقِ، رُحتُ أُلَمْلِمُ شعثَ شَعرِي، فرأيتُهُ، رأيتُ وجهي الأبرصَ الذي يَسخرُ مِنهُ الأطفالُ أينما وُجِدُوا، زُميلاتِي فِي المدرسةِ، يهمسُ بَعضُهنَّ لِبعضٍ:

- ابتعدنَ عنها، مَرضُها مُعدٍ.

تركتُ المدرسةَ بِفضلِهِن، ويومَ أخبرتُ جدَّتِي أنَّني لن أذهب إلىٰ المدرسةَ مرَّةً أُخرىٰ، تهلَّلَ وجهُها فَرَحًا! كُنت أحسبُ أنَّنِي بِذلكَ أُجبرُها علَىٰ



الذِّهابِ مَعِي؛ لِتشكُوَ مَن يُضايقنَنِي إلَىٰ مُديرةِ المَدرسةِ، لم أكُن أعلمُ أنَّ فِكرتِي سَترُوقُها إلىٰ هذا الحدِّ!

أشتاقُ اللَّعِبَ، فأُشارِكُ أبناءَ الجيرانِ لَعِبَهُم، يُزعِجُونَنِي بِسُخريَتِهم، أضطرُّ إلىٰ ضربِهِم، تشكونِي أُمَّهاتُهم لِجدَّتِي، تلطمُنِي الأخيرةُ علَىٰ وجهِي دُونَ تَرَدُّدٍ؛ لإرضائِهِنَّ.

يرتفعُ صوتُ إنذارِ السيارةِ، تُصاحِبُهُ شتائمُ السائقِ طالبًا ابتعادِي مِن أمامِهِ، يَتَوَقَّفُ اجترارُ ذكرياتِ الحُزنِ مِن أعماقِ ذاكرتِي الَّتي خاصَمَهَا الفَرَحُ، أحسستُ بِيَدِ جدَّتِي تُمسكُ أُذنِي، تصبُّ فيها تحذيرَهَا الأخيرَ أمامَ البابِ، تلتهم الشمسُ وجهِيَ الصغيرَ، أُسرِعُ الخُطَىٰ، تزدادُ نبضاتُ قلبِي اضطرابًا، يُمطِرُ جبينِيَ المُقَوَّسُ عرقًا، فَيُعَكِّرُ مِلْحُهُ صفاءَ عينيَّ الضَّيِّقَتَيْنِ.

كم هي جميلةٌ فساتِينُهُنَّ، تَسريحاتُ شَعرِهِنَّ وأطواقُهُنَّ! ترتسِمُ الضَّحكاتُ علىٰ ثُغُورِهِنَّ، وتَنطلِقُ الصَّيحاتُ مُغَرِّدةً، بناتٌ فِي مثلِ سِنِّي يلعبنَ «غمِّضي يا وردةُ... فتّحي يا وردةُ» لِلَحظةٍ تخيَّلتُ نفسِي بينَهُنَّ، ولكنْ كيفَ؟! لا تُشبِهُ ثيابي القديمةُ ثِيابَهُنَّ المُزركَشةَ، لا يعرفُ شعرِي الأربطةَ المُلَوَّنةَ التي تضحكُ فوقَ رؤوسِهنَّ، كما يفتقرُ جِيدِي إلَىٰ أطواقِهِنَّ اللَّامعةِ.

«ريحانةُ، أنتِ غريبةٌ عن هذا العالمِ، جِئتِ إلىٰ الدُّنيا غريبةً وسَتُفارِقِينَهَا كذلكَ، افهمِي»

تنحدِرُ دُموعِي حارقةً علَىٰ وجنَتَيَّ وأنا أتذكَّرُ مَقالَتَها وعينيّ تُراقِبانِ البناتَ، يَلعَبنَ بِمَرحٍ لا أعرفُ طعمَهُ «كأنَّكِ صادقةٌ يا جدَّتِي»

ألقيتُ الحقيبةَ، وجلستُ القُرفُصاءَ، دَفنتُ وجهِي بينَ رُكبتَيَّ، وفاضت عيناايَ بالدُّموعِ، إلَىٰ أن رأيتُ أُمِّي تبتسِمُ لِي، وهي تقتربُ مِنِّي لِتَمسحَ دموعِي بيدَيها الحانِيَتَيْنِ، وتحتَضِنُنِي، لِأَغيبَ فِي حِضنِها الدَّافِئِ، فَأُفارِقَ واقعِي الحزينَ.

رَبتَتْ بِيَدِها الحانيةِ علَىٰ كتفِي، يأتينِي صوتُها كأنَّهُ تغريدُ عصفورةٍ عذبٌ:

- هل تُشارِكِينَا اللَّعِبَ؟

يُشبِهُ وجهُهَا صوتَها كثيرًا، تتلألأُ العُذوبةُ فِي كليهما، هي المَرَّةُ الأُولَىٰ الَّتي أرىٰ صغيرةً فِي مثلِ سنِّي تقتربُ مِنِّي إلَىٰ هذا الحدِّ، تُشرِقُ ابتسامةٌ يَتِيمةٌ عَلَىٰ وجهِي، أردُّ بِصَوتٍ تحتَضِنُهُ الرِّيبةُ:

- هل سيقبلُ البقيَّةُ؟!

أمسَكَتِ البنتُ يدِي، ورَكضنَا نحوَ بَقيَّةِ البناتِ، لَحظاتٍ مِنَ التَّحليقِ فِي فضاءِ طُفولتِي العائدةِ بعدَ غِيابٍ، أغْتَنِمُها بِنَهَمٍ.

يقضُّ مَضجعَ الأحلامِ هَمْزٌ ولَمْزٌ اعتادَهُما سمعِي، أفقتُ مِن غفلَتِي لِأَجِدَ واقعِي بينَ يدَيَّ، تَتَحلَّقُ البنات حَولِي، يُعلقنَ باندهاشٍ:

- مَن هذهِ؟ ما هذا الَّذِي ينتشرُ فِي وجهِها؟!

وقفتُ بينَهُنَّ، فتقَهقَرنَ إلَىٰ الوراءِ بِحذَرٍ والدَّهشةُ لا تزالُ مَرسومةٌ علَىٰ وجوههنَّ اللامعة، تستحيلُ تساؤلاتُهُنَّ هَمسًا، وتمتلِئُ أعينُهُنَّ خَوفًا.

رأيتُها مُقبلةً مِن بعيدٍ، تَجرُّ ثِيابَها كغيمةٍ سَوداءَ، تفورُ عيناها بِنارِ الغَضَبِ، تُزمجِرُ فِي يدِها عصاها الغليظةِ الَّتي أَخْبُرُها.



رأتنِي، فازدادَ فَورانُ الغضبِ فِي عينيها، واشتدَّت قبضتُها علَىٰ العَصَا، فما كانَ مِنِّي ساعتئذٍ إلَّا أن بَحَثتُ عَنِ الحقيبةِ...

جدَّتِي تقتربُ، والبناتُ يُرقبنَنِي، ولا أثرَ لِلحقيبةِ!

أمسكتْ جدَّتِي بِأُذنِي وهي تنظرُ إلَىٰ البناتِ، فَاضت عينايَ بِالدُّموعِ، أفلتَت أُذُنِي، ثُمَّ ألقتِ العَصَا مِن يدِهَا، احتضَنَتْنِي وهي تقولُ:

- انشغلتِ بِاللَّعبِ مَرَّةً أُخرَىٰ، ألَم أَقُل لكِ إنَّكِ غَريبةٌ عن هؤلاءِ؟! متىٰ ستفهمِين؟!

أسماء عبد الراضي محمد

مصر.

❋ ❋ ❋



الدماء السوداء

هل ما حدث صُدفة أم أنها لعبة القدر؟ هذا السؤال راودني في نهاية يوم عصيب ملئ بالأحداث.

حين دقت الساعة التاسعة مساء في ليلة شتوية شديدة البرودة، كنت أستعد للخروج مع صديقتي كعادتي الأسبوعية، ارتديت فستاناً أسود أنيق وجلست أمام المرآة لأكمل زينتي بهدوء، تلك المرآة الفضية الجديدة التي اشتريتها مؤخراً من معرض للتحف، لفتت نظري لجمال إطارها كأنها قطعة أثرية تعود لزمن القرون الوسطىٰ.

أثناء جلوسي أمام تلك المرآة، انقطع التيار الكهربائي فجأة، أظلم المكان كأنه ستار أسود كئيب، سمعت صوت هطول الأمطار بغزارة، الريح تتلاعب بنوافذ الغرفة كأنها ريشة تطير، علا صوت الرعد حتىٰ أصم أذني، ووسط صوت الأمطار الرعدية سمعت صوت صراخ طفل صغير مع بكاء لا يتوقف، فأسرعت أبحث عن الكبريت لإضاءة شمعة بجوار المرآة، لكن بمجرد أن أضاء المكان كان الصوت قد اختفىٰ! لم أهتم، أكملت تصفيف شعري حتي لا أتأخر عن موعدي.

نظرت في المرآة لأرىٰ شبح لولد صغير يبكي، فركت عينيّ للحظات لعلي أتخيل ما أراه من ضعف الإضاءة، لكن صوت بكاءه كان يدوي بأذني،



حاولت أن أبتعد عن المرآة، لكن قدمي تسمرت بالمكان كأنها تجمدت كلوحٍ من الثلج يذوب ببطء.

فجأة... انطفأت الشمعة واقشعر بدني عندما شعرت بنسمة هواء باردة تتخللني كأني فراغ، سمعت صوت النافذة يحركه هواء شديد كاد أن يحطم زجاجها، هطلت أمطار غزيرة، اشتد صوت الرعد وشرارة البرق مما زاد من رعشة جسدي! ساد الأجواء صمت رهيب، حاولت إضاءة الشمعة من جديد، نظرت للمرآة مجدداً فاختفي شبح الطفل الصغير.

اطمأن قلبي قليلاً، قلت لنفسي لعلي أتوهم ذلك، فأحضرت عقدي اللؤلؤ الثمين لأرتديه لكني لم أهنأ بذلك أيضاً، فلقد شعرت بيد تمتد لعنقي، أراها بالمرآة تلف العقد حول رقبتي، كدت أن أختنق وغبت عن الوعي.

مر الوقت لم أشعر به ثم أفقت علىٰ صوت هاتفي، إذا بصديقتي توبخني علىٰ تأخري عن الميعاد، فاعتذرت لها بلطف، لكنها صممت علىٰ حضوري، أن لا داعي للتأخير فهي في الانتظار.

قمت بسرعة، وجدت النور في كل مكان وكأن شيئاً لم يحدث وتجنبت النظر في المرآة ونزلت علىٰ الفور، مرت ساعتان، نسيت ما حدث، فلقد كان لقاء ممتعاً مع صديقتي، اشترينا بعض الثياب علىٰ أحدث طراز وأنهكنا التعب، فعدنا كلاً منا لمنزلها.

دخلت المنزل لأغير ثيابي وأخلد للنوم بعد ذلك اليوم المرهق، لكن أحلامي كلها كانت تدور حول ذلك الطفل الصغير وبكاءه، فلم أستطع إكمال نومي.

قررت أن أجلس بالشرفة قليلاً لكنني شعرت ببرودة الأجواء، فدخلت لأحضر وشاحي الأخضر، بحثت عنه في كل مكان لم أجده حتىٰ تعثرت بالمقعد أمام المرآة، نظرت بها بالصدفة وإذا بشبح إمرأه عجوز داخل المرآة ترتدي عقدي اللؤلؤ ووشاحي الأخضر الذي كنت أبحث عنه، تملكني الرعب ولم أتفوه بكلمة واحدة، أنا أراها تقترب مني من خلال المرآة! ظلت تقترب وتقترب ببطء، حاولت أن أصرخ لكن صوتي مختنق لا يخرج من فمي! حتىٰ شعرت أنها اقتربت لتلمسني لكنها اختفت فجأة، ثم تساقطت قطرات من دمٍ أسود فارتعدت، عدت مسرعة لسريري مترنحة من الخوف، جلست به حتىٰ غلبني النعاس للصباح.

استيقظت من نومي، ذهبت أتحسس المرآة لكني لم أجد أي أثر للدم الأسود، فقررت أن أقضي يومي خارج المنزل حتىٰ أجد حلاً لتلك المرآة، قضيت يومي في شراء مستلزمات للبيت، وأثناء عودتي فكرت أن أذهب للمعرض الذي اشتريت منه تلك المرآة؛ لعلي أجد سبباً يفسر ما يحدث لي معها!

دخلت المعرض، سألت عن صاحبه، فأشاروا لي علىٰ مكتب قديم بزاوية المعرض، فذهبت لهناك وجدت رجلاً عجوزاً يجلس في هدوء يحتسي فنجاناً من القهوة، شارد النظرات حتىٰ لم يلتفت لوجودي إلا بعد أن ألقيت عليه التحية، فقررت أن أحاول معرفة ما أريد بطريقة لطيفة.

وقفت أمامه أسأله بلطف:



- كنت قد ابتعت من معرضكم مرآة عريقة لها إطار أثري جميل، وددت معرفة موردها الأصلي لكي أحضر مثلها لصديقة لي.

فرد بهدوء:

- أي مرآة! تقصدين المرآة الفضية؟
- نعم هي.
- إنها مرآة قديمة أحضرتها لي فتاة يونانية مع بعض الاثاث منذ شهرين بعدما نوت العودة لبلدها بعد وفاة جدتها.
- هل احتفظت بعنوانها أو رقمها؟
- لا... لكن هناك عاملة معي كانت تعمل عندها بتنظيف المنزل كل جمعة اسمها وداد، ستأتي لتنظيف المعرض بعد قليل.
- شكرا لك.

خرجت من المعرض، جلست بمقهىً قريب أشرب فنجاناً من القهوة ثم عدت بعد ساعة لمقابلة العاملة وداد، وجدتها سيدة بسيطة في الأربعين من العمر، ارتبكت في البداية حين سألتها عن السيدة اليونانية، لكنها اطمأنت بعدما أخبرتها أني سمعت عن أمانته، لذا طلبت أن تساعدني في تنظيف منزلي وأعطيتها بعض النقود.

جاءت وداد معي؛ لتعرف مكان المنزل ثم نتفق علي يوم لتنظيفه أسبوعياً، جلست أمامي في غرفة المعيشة تجاذبنا الحديث حول أين عملت من قبل؟

تطرقت لسفر الفتاة اليونانية وموت جدتها، هنا شحب وجه وداد، هرب الدم من عروقها، فأحضرت لها كوباً من العصير.



عرفت منها سبب توترها، كانت الصدمة حين قالت:

- إن جدة تلك الفتاة قد ماتت لكن ليست موتة طبيعية، لقد كانت مريضة نفسية انتحرت بعدما زادت عليها الهلاوس السمعية والبصرية، كانت تسمع صوت بكاء طفل صغير وصراخه كل ليلة، حتىٰ يوم وجدوها قد شنقت حالها! باعت حفيدتها كل ممتلكاتها، بعدها لم أجد عمل لي سوىٰ بذلك المعرض.

كدت أن أشهق من الصدمة! كتمت أنفاسي حتىٰ انصرفت بعد اتفاقنا علىٰ أن تأتي غداً لتنظيف المنزل منذ الصباح الباكر.

حاولت أن أتناول قرصاً منوماً لكي أستطيع النوم، لكن بمجرد أن دقت الساعة التاسعة انطفأ النور وسمعت صوت صراخ الطفل الصغير، ارتعدت أوصالي لكن لا إرادياً قتلني الفضول لأقترب من المرآة، رأيت الطفل ذلك المرة يضحك، يقترب من المرآة حتىٰ لمسني ومعه السيدة العجوز يتعالىٰ صوت ضحكاتها الهستيرية.

جاء الصباح... جاءت وداد لتنظيف المنزل فوجدت بابه مفتوحاً، دخلت بخطوات بطيئة تنادي عليّ، سمعت صوتها من بعيد، تفاجأت لصراخها عندما رأتني:

- لماذا فعلت ذلك يا سيدتي! لماذا انتحرت؟

لم استوعب ما سمعته إلا عندما تجمع الجيران لرؤية ما حدث! نظرت في المرآة إذا بي مختنقة بعقد اللؤلؤ حول رقبتي و الدماء



السـوداء تنسـاب مـن فمـي، وعرفـت الحقيقـة أخيـراً أني قـد أصبـت بلعنـة المرآة، وأني شبح الآن!

سمعت وداد تطلب أن تأخذ المرآة لها، فصرخت بلا صوت:

- اللعنة ستصيبك أيتها المسكينة.

بأنسيه محمد فضل

مصر.

❊ ❊ ❊





سيليا لـم تكـن فتـاة رائعـة الجمـال فحسـب، بـل هـي فتـاة محاربـة، لهـا مـن الجمال والسحر ما من أجله يركـع ملـوك العـرب، رقيقـة، قويـة وصـارمة في نفس الوقت.

سقطت سيليا أسيرة بقبضة المسلمين أثناء حرب الأرك، أخذها الحراس مع أخريات إلىٰ داخل المعسكر ولم تكن لتتقبل هذا الوضع أبداً، فلـم تتنـازل عن هيبتها وكبريائها، لـم تـنس أبـداً أنهـا أميـرة بنـت ملـك، فكانـت منطويـة، حزينة و متمردة لا يمكن ترويضها، لا تشارك من معها طعاماً ولا شراباً بل تزهده أحيانـاً.

اقتربت منها «عاليا» – أسيرة أخرىٰ – تسألها عـن سبب انعزالهـا وحالتهـا، أجابتها بأنها أميرة بنت ملك وذلك وضع لا يليق بها أبداً ثم نادت بانفعال:

- أيهـا الحـراس... عـودوا بـي مـن حيـث أسـرتوني، عـودوا بـي إلـىٰ مملكتي وأبي، كيف لأميرة فارسة مثلي أن تعيش بهذا المكان؟

سمع صوتها الحراس، فدخل أحدهم إليها وقال بصوت جهوري:

- ما بكِ يا إمرأه ترفعي صوتك هكذا! فلتصمتي وإلا قتلتك.

ازدادت غيظـاً وانفعالاً لما قال ثـم التقطـت سيفه مـن ملبسـه وصوبته تجـاه عنقه وقالت:



- ألا تعلم من تُحدِّث؟ أنا الأميرة سيليا الفارسة الشجاعة ولن يبقىٰ الوضع هكذا طويلاً وقريباً سيأتي أبي وتكون الحرب وستدفعون أرواحكم جراء ما فعلتموه بي.

حينها دخل الفارس المغوار (شهاب الدين) واستمع لما قالت ونظر إليها نظرة المعجب المنبهر بشجاعتها وقوتها، إنها فارسة حقًا بل وجميلة أيضًا، إنه لم يرَ مثل جمالها قط ولكنه وبسرعة أخفىٰ إعجابه بها و سل سيفه ووضعه علىٰ سيفها قائلاً بشجاعة الفارس:

- اتركي السيف وإلا قطعت رأسك وأرسلتها إلىٰ أبيك.

نظرت إليه بتعجب وقالت:

- ومن أنت حتىٰ تأمرني بأن أترك السيف؟ لسوف أُنهي حياتكما الآن.

ضحك بسخرية ثم ضغط بقوة علىٰ سيفها قريبًا من يدها فسقط علىٰ الأرض، ثم قال:

- أعرفت من أنا؟ أنا الفارس شهاب الدين الذي يقهر الجيوش وينتصر دومًا بلا خسائر ولا يعرف للهزيمة عنوان.

إنه حقًا فارس قوي البنيان، حسن الخِلقة، أُعجبت به وعلىٰ غير إرادتها خفق قلبها بشدة، نسيَت من تكون ومن يكون، تذكرت فقط شعورها بخفقان قلبها وبإحساس جعلها تتصور وكأنها طائر بجناحات يطير في سماء المعسكر.



هـدأت ثورتهـا وفرحـت بنبض قلبهـا وأحبـت وجودهـا بـالقرب منه وتبـدل حالها فما عادت تشعر بالراحة والطمأنينة إلا بوجوده ورؤيتـه بـالقرب، إنهـا لم تقع أسيرة الحرب بل أصبحت أسيرة قلبه.

بدأ اهتمامها به جليًا واضحًا، تراقبه بين الحين والآخر؛ حين انتقاله داخل المعسكر يتفقد حال جنوده، لقائه بهم، تفقده لأحوال الأسرىٰ حتىٰ وفي يوم التقت عيناهما ونفذ سهم العشـق إلـىٰ قلبـه ثـم رده إليهـا واخـترق قلبهـا هـو الآخر، شعر بها وحبها ونظراتها إليه ولقد علمت ما ألَّم به هو الآخر وإن لـم يتحدث ولكن حال عينيه يقول:

- لقد خطفتِ قلبي أيتها الأميرة!

وفي الصـباح البـاكر جاءتهـا عاليـا تعـرِض عليهـا خطـة للهـروب بمسـاعدة (علـي) ذلـك الحـارس الـذي اتفقـت معـه علـىٰ مسـاعدتهما، وفي الوقـت الـذي فرحـت بـذلك تـذكرت شـهاب الـدين وكيـف سـتتركه بعـد أن تعلـق قلبهـا بـه؟ كيـف سـتهرب ولا تـراه مـرة أخـرىٰ، كيـف سـتعيش بدونه، لقد أخذ قلبها معه؟

اتفقتا علىٰ الهرب وسينتظرهما الحارس بالخارج بعد أن ينـام الجميـع، وفي الوقت المحدد وبدون أن يشعر بهما أحد، وصلا إلىٰ خارج المعسكر وأثناء ذلك وفجأة ظهر شهاب الدين أمامهما قائلاً بغضب:

- أين ستذهبان؟ أتظنان أنكمـا تستطيعان الهـرب مني؟! وأنـت أيهـا الحارس ستنال عقابك عاجلاً.



ولما رأته سيليا، أخذت تركض على قدميها محاولة الهرب منه، ولكنه لحق بها وحملها إلى داخل المعسكر، ثم وضعها بخيمة وحدها يحرسها ثلاثة من الخارج، ارتعدت وارتعش جسدها وقد أنهكها التعب جراء ما حدث ولكنه همس بأذنها وبصوت دافئ حانٍ قال:

- ستبقين هنا ولن أتركك تغيبين عني أبداً واطمئني.

قالت والخوف يتملكها:

- ولكني أريد أن أعود، اتركني أذهب سيأتي أبي بجيش كبير ويخلصني منك ووقتها سأفقدك إلى الأبد.

قال وهو يقترب منها ويدقق النظر إلى عينيها:

- أتخافين عليّ؟

ردت:

- نعم و...

وبحياء نظرت إلى الأسفل ولم تكمل، رفع رأسها إلى أعلى ثم قال:

- أحبك.

ثم رأى دمعات ذرفت من عينيها كاللؤلؤ، بعد أن دار بمخيلتها ما سيحدث لو أتى والدها، فلابد وأنها ستكون معركة كبيرة و يا ويل قلبها لو خسرتهما معـًا.



بكت أمامه كثيراً، فضعف قلبه ولم يحتمل رؤيتها كذلك، فوضع رأسها علىٰ صدره وربت علىٰ كتفها وقال:

- أشعر بكِ.

ثم تركها وغادر، يريد أن يجلس معها، أن يحكي لها، أن يضمها لصدره فيشعرها الأمان؛ فمنذ رآها أول مرة وقد أحس بأنها بضعة منه، كيف حدث له ذلك وهو الفارس المغوار الذي قابل الكثير من الجميلات ولم تهزمه إمرأه! بل هزمته الفارسة (الأميرة)

وفي صباح اليوم التالي... استأذنها في الخروج سويًا، حدثته عن مملكتها وأبيها، أخبرها هو الآخر عن انتصاراته وحروبه ثم قالت له:

- حدثني عن الإسلام! إنني أرىٰ الجنود المسلمين يقاتلون في الحروب باستماته شديدة مقدمون لا يتراجعون أبداً، يتهافتون علىٰ القتال كما تتهافت الفراشات علىٰ النار.

أوضح لها بأنه الجهاد، وإنه لَغاية لكل مسلم أن يموت شهيداً في سبيل الله.

كانت تسأل ويجيب، حتىٰ اقترب قرص الشمس علىٰ المغيب ولابد أن يعودا إلىٰ المعسكر.

تعددت اللقاءات بينهما وفي إحداها طلبت منه اعتناق الإسلام، لم يصدق ما قالت حتىٰ رددتها أمامه وقلبها يرقص فرحًا، وبعد فترة أخبرها أنه سيغيب عن المعسكر مدة طويلة، فلديه مهمة لابد وأن تتم علىٰ وجه السرعة.

قضت أياماً صعبة بل شهوراً تنتظره، يمر اليوم بعد اليوم ولا يأتي، حتىٰ أُشيع أنه قد قُتل، فاعتصر قلبها ألماً وانطوت بخيمتها التي أعدها لها وأخذت تبكي حزناً علىٰ فراقه.

نامت والدموع علىٰ خديها، وإذا به يدخل خيمتها، اقترب منها يمسح دموعها، فتحت عينيها وجدته هو فزعت لرؤيته ثم احتضنته قائلة:

- أنت حي! الحمد لله لقد أعلنوا....

ثم أكمل بحزن:

- وفاتي، الحمد لله فما دمت بجواري سأحيا بك ولك ولن يصيبني الضر، طالما قلبك معي أيتها الفارسة الأميرة يحييني ويعطيني الأمل في الحياة.

وأثناء ذلك سُمع أصواتاً عالية من داخل المعسكر، ذهب ليتفقد الأمر، قابله الحارس وقال له بفزع:

- أيها الأمير... لقد تقدم والد الأميرة الأسيرة بجيش كبير وهو علىٰ مقربة منا.

رد عليهم بصوت جلل:

- أيها الجنود... فلتجهزوا خيلكم وسيوفكم، إنها الحرب.

خرجت سيليا من خيمتها تنادي باسمه راكضة وراءه، التفت إليها ثم قال:

- ماذا تريدين؟



قالت والدموع تنهمر علىٰ خديها:

- أبي، ستقتل أبي شهاب الدين، عِدني ألا تقتله.

قالها بحزن:

- إنها الحرب ولتبق هنا داخل خيمتك لا تخرجي منها أبداً.

ثم تركها استعداداً لملاقاة أبيها وجيشه، دخلت خيمتها وارتدت ملابس الفرسان، امتطت جواداً قويـًا، واستعدت للحاق بهم ولكن مع من ستحارب؟ حبيبها أم أبيها! فلتذهب ولترىٰ ماذا سيفعل بها القدر؟

اشتدت الحرب بين المقاتلين ووقعت خسائر بين الجيشين في الأرواح، ولكنها أخيراً كانت لصالح الفارس شهاب الدين حتىٰ واقتربت اللحظة الحاسمة؛ لقاء أبيها بالفارس الهمام، تدخلت لتوقف القتال بينهما وحينما رآها شهاب الدين صرخ في وجهها وقال:

- أخرجي من المعركة، أخرجي، إني أحبك أتفهمين، أحبك!

ردت وهي تقاوم الضربات التي تأتيها من كل اتجاه محاولة حماية أبيها:

- وأنا أحبك ولكنه أبي وأنا الفارسة الأميرة التي لا تهزم أيضـًا وسأدافع عن أبي ولآخر قطرة من دمي.

ثم تلقت ضربة سيف قوية من الخلف، فسقطت من علىٰ جوادها إلىٰ الأرض، حينها أمر الفارس بوقف القتال، ثم نزل من علىٰ جواده الأسود وجلس بجوارها وقال لها والألم يعتصر قلبه:



- قلت لكِ أخرجي، لماذا لم تفعلي ذلك؟

قالت وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:

- لا عليك ولا تحزن، فهذا واجبي ولم أكن لأترك موقعي هذا أبداً وأتخلىٰ عن أبي، ولكنني أريد أن أعترف لك بأنني مدينة لك ولكرم وجودك ومن قبلهما لقلبك الذي وهبتني إياه، لقد شعرت الحب وعرفته معك ويكفيني بأنك الآن آخر ما أرىٰ من دنياي، فوداعـًا لقلبي الذي هو الآن معك.

احتضنها بين ذراعيه، ثم ذرفت دموعه حينما سمعها تنطق الشهادة وفاضت روحها إلىٰ السماء.

د. أسماء أحمد

مصر.





قطرة ومطرة ماء

في ذات يوم من الأيام...

اجتمع أصدقاء الطبيعة في يوم جميل؛ ليحتفلوا بيوم البيئة، فبدأ الصباح وسطعت شمس اليوم بجماله ودفئه، وتناغمت فراشات الزهور مع بدء الربيع وقالت الشمس للأرض:

- أنا أحبك... أحب أن أبقىٰ بجانبك، لكي تسطع زهور البنفسج مع عبير الأرض.

وقالت الأرض:

- شكراً لكِ أيتها الجميلة المعطاءة، التي تعطيني بلا سبب وبلا شيء، لولاك لم يكتمل نهاري بحب ودفء.

وفي ذات يوم ربيعي جميل، حاكت الأرض الزهور وقالت:

- فرشت أجمل الألوان وتغنت بأجمل لوحة بيد فنان.

الزهور:

- شكراً لكِ أيتها الأرض يا نبع العطاء وينبوع الحنان، لولاك لما كنت بهذا الجمال ولما تعطرت بشذا المكان.



ومع بداية الخريف وفصل الشتاء، دار حوار جميل بين قطرة ماء ومطرة...

فقالت قطرة ماء:

- يا الله أعطيني سر الوجود والحياة، لولا الماء لما وجدت الحياة.

مطرة ماء:

- أنت التي تجتهدي وتصل لقمة السماء وتتبخري بكثافة، جهدك خلال الشمس القوية فوق البحار والمحيطات، فتصبحي أجمل مطرة بيد خالق عظيم.

السماء:

- دعا الرب يبارك لكما هذا العطاء الجميل لإكمال دورة الحياة.

وفي ذات يوم... بكىٰ الفلاح علىٰ أرضه العطشىٰ، ودعا ربه أن يسقيه بالخير الوفير؛ ليعم الخير علىٰ هذه الأرض، واذ بصوت رعد من بعيد يقف خلف الجبال السوداء البعيدة الأمد، فتصرخ رعد المطر وظهر البرق، وإذ بمطرة الماء تقول له:

- استجاب الله لك أيها الانسان المعطاء الذي أحببت هذه الأرض وهي أحبتك.

فنادت السماء وقالت:

- قطرة ماء... اسقي هذه الأرض حتىٰ تعطي طعام مفيد للإنسان.

وقال الفلاح:



- شكراً لك يا الله وشكراً لتعاونكم ولمحبتكم، أحسست بكنز ثمين بوجودك يا قطرة ومطرة الماء.

شذا محمد فحام

سوريا.

❊ ❊ ❊



طلقة

تتباهىٰ أمامهن بفحولة زوجها، وإجادتها لمجاراته في مُنازلات الفراش، ومهارتها في إثارته و تَحفيز نظرة عينيه التي تتغير لها كل مرة، تحكي لهن عن كل جديد و غريب تسعىٰ إليه وتبحث عنه دائبة؛ لتجدد علاقتها معه.

يستمعن مشدوهات، وأحيانًا يستغشين ثيابهن خجلاً، نظرات الاشمئزاز عَجزت أن تقتل فيهن الإعجاب الصامت، كيف تفعل كل ذلك وتقبل بعكسه؟

إحداهن كانت تُراقب حوارها ولغة جسدها وتعبيرات وجوههن، تَعلم أن النساء يعشقن الفضفضة في الحزن، والثرثرة في الجنس. تكلمت علىٰ استحياء:

- كيف أجعل نظره أعمي عن غيري، حقًا أنا مستعدة أن أتخلىٰ عن عجز تربيتي، وقلة حيلتي، مستعدة لوأد هذا الحياء اللعين، لست أنا فقط بل كل من ترينها هنا لكنهن تستحين البوح، يتمنين أن تتحدث أخرىٰ بلسانهن.

استدارت من عَلٍ بشموخ أنثىٰ خبيرة وأجابت:



- عجبًا لأمركن أيتها النساء، تعشقن التدلل ولا تفعلونه، تبغضن التذلل وتمارسونه، بينما الأمر بسيط، وضع الله داخل كل منكن قوة ناعمة تنطوي علىٰ ضعف، تستطعن أخذ ما تريدن بكل سهولة، وتفضلن الطريق الصعب، تتظاهرن بالحياء بينما تتوق أجسادكن للعُهر الحلال، الأمر بسيط، أتركي تلك الأنثىٰ بداخلك، حرري قيدها، دعيها تخرج وتمارس الحب، تمردي علىٰ الوجه الخشبي المصنع، وقتها لن ينظر لغيرك مهما رأت عينه.

تفرق الجمع... تابَعتها ورَكدت خلفها، كانت ستسألها، وقد حُلت عقدة لسانها علىٰ يدها وهناك الكثير تتمنىٰ أن تسمعهُ منها، بيتها علىٰ بعد خطوات، لا بأس فالحديث هناك سيتحلىٰ بالحرية والنفع.

رأتها تُهرول وبخطوات مسرعة يملأها الارتباك وكأنها تهرب من شيء ما، اقتربت من بَيتها أكثر وأكثر، قبل أن تَدق بابها، تعالت أصوات شجار لم تستطع أن تميزه، تراجعت بخطىٰ يائسة مع ضجيج العراك المُتزايد، جَبرها الفضول أن تختلس نظرة من خلف نافذة مفتوحة، رأته يضربها!



❋ ❋ ❋



عَزيزة

يكادُ البيت يختبئ وسط كومة من النخيل العالي، تَطل عليه الشمس في مَوعدها الثابت، أتُراها تتحلىٰ بالخجل؟ أم ترمي عليه خيوط الاختبار مثل ما ترمي خيوط النور؟ أهي عادة أم عِزة؟! لا تدخلهُ أبداً إلا لو فُتحت لها الأبواب والنوافذ، وسُكان البيت ليلتهم باردة شديدة الرطوبة، الصقيع وقطرات الندىٰ تتسرب داخله، تُنَسم حوائط بهوه المطلية بالزيت.

لَيلتهم ليلة سَحَر فَردية تتوسط ليالٍ تُعد علىٰ أنامل يدٍ واحدة ويأتي العيد، تَجلس عَزيزة أمام ماكينة حياكة برغبةٍ عَذبة، قررت أن تُكرس حياتها وأن تشري بنفسها ابتغاء مرضاة واهب النور، تحمي قواربها الثلاث التي أبحرت في محيط العالم الكبير من العواصف المُهلكة، هم أولاً ثم هي حتىٰ لو طالت المسافات وعَلت.

تتسلىٰ بإحصاء آمالِ أولادها؛ لتقتل ساعات عمل مُرة ولكنها مطمئنة، تُرتب أحلامهم وتُثبتها وتضع أحجارها واحدةً فوق الأخرىٰ وتَسد ثغراتها بعجين الأيام الآمنة.

بعد أن أتمت صلاة قيام الليل بلذةٍ ومتعة لم تَعهدها من قبل، ثم انتهت زيارات الجارات والقريبات اللواتي لا يجدن مكانـاً آمن لأماناتهن سوىٰ دولابها، وأسرارهن سوىٰ قلبها، عكفت علىٰ إنهاء «بيجامة كستور» لزوج



إحدىٰ الجارات، ثمن صنعتها فيها ثلاثة جنيهات، تَود ملأ «علبة صاج» صغيرة بالجنيهات، العيد يقترب والزوج «صول» يعمل في أمن الميناء وراتبهُ يحتاج التضاعف.

الصغيرة تَحلمُ بفستانٍ حريري وحلق من ذهب ودُمية كبيرة تلهو بها، وتوأم الولد والبنت في تفاصيل حِلمهما رواية.

قبل أن ترفع قطعة قماش خام لتبدأ في عمل جديد، طبقت أناملها وفَركت عيناها، نور البيت خافت والنَظر يَضعف من كثرة التركيز في خيوط القماش، أراحت عيناها بنظرتها للولد، ولكن صدرها يتمزق عليه، يَفرد بدنه علىٰ أريكة في إحدىٰ زوايا بهو البيت، سارح يتأمل... حلمهِ ليس بيده، أي شيء سيشفع له... صحته الجيدة! أم حُسن هيئته! أم بيتهم الريفي الذي يتوسط كتلة من النخيل؟ أم حال أبواه؟ أم ملابسهِ التي رَقت من كثرة الكي؟ حتىٰ وإن كان فائق بين الطلبة وعبقري مثلما وصفهُ معلموه... هل هذا كافٍ لـ لمس حلمه وأن يرتدي «بدلة» عسكرية يَحلم بها؟ يؤمن بأن التفكير قاتل ومُحبط... ولكن هداهُ عقلهُ أن يسير في شوارع الواقع... عليه الآن أن يُركز فيما يستطيع فعله، ولم ينس حديث أبوه الذي حطم أبواب اليأس، عندما أخبره بأخذ وعداً من مسؤول كبير ليساعده.

الأب يتلو القرآن في غرفته بصوتٍ ناعم هادئ يقرأ ثم يتوقف؟ تشق صدره تنهيدة، منذ متىٰ وهو يكذب علىٰ أولاده؟ يتذكر اليوم الذي استطاع فيه مقابلة رئيس هيئة الميناء، وقف أمامه بوجه تملأه كل تقاسيم الرجاء ثم تتحول المعالم إلىٰ خجل قاتل يود للأرض أن تنشق وتبتلعه، عندما رأىٰ



الرجل يُشعل «سيجارة» ويضحك وهو ينظر في أوراقٍ راقدةٍ علىٰ مَكتبه، لم يُكلف نفسه وينظر في وجهه وهو يقول:

- إنت راجل طيب يا عم أمين... صول وعاوز ابنك يبقىٰ ضابط!
- يَستحق يا سيدي
- أعلم وأسمع عن ابنك أنه فائق، بيده أن يكون طبيب، مهندس... لماذا اختار طريق ليس له!
- حلم وتَخمرَ في عقله وقلبه وليس عليه سلطان!

زادت ضحكة الرجل وهو يتابع أمين يخرج من مكتبه وانثال في قوله:

- اللي زيكوا كده يا عم أمين، ميرضوش بقسمة ربنا أبداً... عمومـًا خليه يحاول.

أغلق الأب كتاب الله ووجه كلامه لنصف التوأم الناعم أن تُخبر أمها أن الفجر اقترب والوقت ضاق.

أملُ البنت ما زال مُتاح، تَقدر أن تلمسهُ وتَقبضُ عليه إن عَزمت، أغلقت كتاب الكيمياء ولم تُغلق الحلم... «البالطو الأبيض والسماعة» المحمولة علىٰ الكتف وغرفة الكشف ولافتة كبيرة عليها اسمها ملتصق باسم أبيها.

استقبلت عزيزة تنبيه ابنتها ونهضت، لم يتبق علىٰ آذان الفجر سوىٰ ساعة، ومهامها لم تنته، عليها قبل أن تُجهز السحور الصعود لسطح البيت؛ تجمع بيض الدجاج التي هفت عن جمعه في وضح النهار وتغطي بيت الطيور؛ لتحميهم من برد أو مطر مُحتمل.

صعدت، وقفت أعلىٰ البيت، اختلف الوضع وانعدل الحال وبات قاطنيه تحت أقدامها، رغم أن طبيعة مثل هذه الليالي شِدة البرد، مع ذلك انعدم شعورها به، فلا حَر ولا برد، نظرتها الأولىٰ لبيت الطيور أوحت لها أن الليلة شحيحة البيض، دخلته وخرجت وأغلقت بابه والصحن لا يحمل سوىٰ أربع بيضات، وما المشكلة؟ الأولاد والزوج أربعة، وإن لم تأكل بيض فلن يَهتز الصيام، وضعت صحن البيض علىٰ سطح بيت الطيور ونظرت للسماء... صافية خالية من غيوم أو سحب... نجومها متلألئة قريبة من بعضها البعض.

فجأة وبلا تمهيد، اصطفت نصف نجوم السماء وباتت خطًا مستقيمًا ونصفها الآخر صنع خطًا يوازيه، بين الخطين نوراً عظيمًا، يزداد... كلما تنظر كلما يزداد... كادَ أن يَخطفَ نور عينيها، العين حائرة والعقل فقد الاستيعاب وبالقلب تتحدث:

- ما هذا! أهي ليلة القدر؟ ولم لا تكون ليلة القدر؟!

السماء فُتحت وعزيزة في ليلة عزيزة تنظر إليها، ترتعش بلسان مربوط لا تدري ما عليها فعله! تدعي أم ترجو، أم تبكي من خوف ورهبة!

أول ما خطر ببالها أن تجري وتنزل علىٰ درج البيت بسرعة وأن تعود بالأولاد والزوج؛ لينالهم نصيب من السماء المفتوحة، وقفت في بهو البيت تنادي عليهم، حتىٰ الصغيرة التي لم يُفرض عليها صيام أيقظتها وحَملتها وهي تنطلق للأعلىٰ وهم خلفها وتقول وهي مطمئنة:

- هيا... السماء مفتوحة ولكم ما تُريدون... هيا.



تَبعوها... فهي أبداً لم تكذب ولم تتمكن منها هواجس ولم يذهب شيئاً من عقلها.

علىٰ سطح البيت، كل شيء دَمِث، الطيور هادئة والنجوم مَحلِها والرياح ساكنة، كل شيء طبيعي لا غرابة فيه.

نظروا إلىٰ السماء وطال نظر بعضهم البعض باستغراب! ثم تسللوا إلىٰ الأسفل ببطيء، أحدهم تلو الآخر والأفكار تَعبث في رؤوسهم، أرادوا تبريراً من دون سؤال لما ادَعت... أهو تحفيز؟! أم فتح الأبواب التي تود العواصف غلقها؟! أم هي الحقيقة؟!

أما عَزيزة وقفت تنظر إلىٰ السماء بوجهٍ باسم، تَخرُج من قلبها كلمات محمولة علىٰ أسهُمٍ بيضاء، كل سهمٍ منها يخترق قلب نجمة، ثم حَملت صحن البيض وهبطت.





جدول المحتويات

حكايات جَدّتي.................................٥

ونس ١٠

حَنِينٌ ١٤

أنت رجُل.....................................١٦

في انتظار الأمير ١٨

ارتكب حلماً ٢١

فراق..٢٦

الكنز ٣٠

ذاكرة عكسية ٣٥

أصعب قرار ٣٨

دائما تأتي متأخرا ٤٠

تهويد ٤٤

بندور ٤٧

ليلىٰ والجني فتىٰ الأسنان ٥٩

فستان زفاف ٦٥

الصدمة....................................... ٦٦

اللسّاعين ٦٨

دعوة علىٰ العشاء ٧١

العرّافة.. ٧٧

أغرب معشوق علىٰ الأرض........................ ٨٣

الظل الثالث ٨٤

دعه ينام ٨٦

جين ٩٠

لوحة علىٰ الحائط ٩٥

حاء.. ٩٩

نسيان.. ١٠٣

الهجينة ١٠٥

أنين قلب ١١٤

غربة ١٢٢

الدماء السوداء ١٢٧

سيليا ١٣٣

قطرة ومطرة ماء.. ١٤١

طلقة ١٤٤

عَزيزة.. ١٤٦

جدول المحتويات ١٥١

❊ ❊ ❊